Rgd. A-751

البعث الإسلامي

مجلة شهرية إسلامية أدبية

العدد الثانى والثالث

المجلد الرابع

ALBAAS

ARABIC ISLAMIC MONTHLY

37, GWYNNE ROAD

LUCKNOW (INDIA)

Edited by S. M. Hasani, 37, Gwynne Road, Lucknow.

صاحب الامتياز
الاستاذ أبو الحسن
على الحسنى الندوى
رئيس التحرير
محمد الحسنى
نائب رئيس التحرير
سعيد الأعظمى

البعث الاسلامي

شهرية إسلامية أدبية
المجلد الرابع

الاشتراكات
(فى الهند و باكستان)
٦ روبيات للسنة الواحدة
٥٠ بيسة جديدة لعدد واحد
(فى البلاد العربية والخارج)
٧٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها
لسنة واحدة

شعبان و رمضان ١٣٧٨ هـ العدد الثانى والثالث فبراير مارس ١٩٥٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نياحة أبى جهل

« قطعة من « جاويد نامه » للدكتور محمد إقبال نقلها إلى العربية الاستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى و بسطها و زادها إيضاحاً و تصويراً »

زارت روح عمرو بن هشام - زعيم الجاهلية والنخوة العربية - مكة و قد أصبحت بلد الاسلام والتوحيد ، و طهر بيت الله للطائفين والقائمين والركع السجود ، و حرمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية ، فلا لات و لا مناة و لا هبل و لا العزى و لا أساف

و لا نائلة ، (١) و قام المؤذن على شرفات الحرم ينادى بأعلى صوته خمس مرات « أشهد أن لا إله إلا الله » « أشهد أن محمد رسول الله »

و ذهبت نخوة الجاهلية و تعظمها بالآباء و أصبح الناس يعتقدون أنهم من آدم و آدم من تراب فلا فضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى إلا بالتقوى و سمع الناس يتلون « يآيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

و أصغى إلى الناس فى غدوهم و رواحهم فلم يسمعهم يفتخرون ببلد أو نسب ، و وطن أو شعب ، و طاف فى الناس فلم ير أحداً يعير أحداً بأمه أو دمه أو سواده أو حرفته و حبشيته و عجميته ، و يتطاول بعربيته أو قرشيته ، و غشى مجالس الناس فلم يسمع مفاضلة بين عدنان و قحطان و بين ربيعة و مضر و بين بنى عبد مناف و بنى عبد الدار ، و بين بنى هاشم و بنى عبد شمس ، و لا مساجلة فى مآثر الجاهلية و أيام العرب ، و رأى الناس بالعكس يرجعون إلى عبد أسود قد فاق الناس فى علمه و فقهه و يلتفون حوله و يصدرون عن رأيه ،

و دقق فى حديث الناس و آدابهم و عاداتهم و أخلاقهم و سلوكهم و عقيدتهم ، فلم ير عرقا جاهلياً أو نزعة عربية أو نعرة قومية يتعلق بها سيد بنى مخزوم و يقر عيناً ، و رأى أن الحياة القديمة

(١) كان أكثرها أصنام قريش ، والتى كانت لغيرها كانت قريش تعظمها . راجع ابن هشام وابن الكلبى .

قد نسخت و ابطلت و ولد مجتمع جديد قام على أساس من العقيدة والخلق والفضيلة والتقوى و تغيرت الموازين والقيم و تغيرت عقول الناس و نفوسهم و سمع ينشد فى حزن و إستعجاب :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم

و لا الدار بالدار التى كنت أعرف

لقد أشكلت الأمور على سيد بنى مخزوم و أبهمت مكة عليه و هو ابن البلد و سيد من ساداتها ، فلو لا البيت و لو لا الحطيم و لو لا الحجر و لو لا زمزم و لو لا المكان الذى كان يجلس فيه مع سادة قريش و يمتحن فيه ضعفاء المسلمين ، لأنكر مكة و أنكر الوادى و رأى أنه قد ضل الطريق ،

لقد كان يرى فى الدين « الجديد » الذى جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) الخطر والضرر على الدين الذى قام على تقديس القومية العربية والعصبية القرشية والنظام الجاهلى الذى يقوم على النسب والوطن و تفضيل الدم والعرق و يرى العالم كله فى حدود « الجمهورية العربية القرشية » التى قامت فى مكة و لا يعنى بخارج هذه الحدود ، و يرى الفضل كله فى العرب فغيرهم عجم و علوج لا يستحقون مدحاً و لا يستحقون رحمة و لا يستحقون عدلا . لقد كان يرى كل ذلك و يتوقعه و كان من أشد الناس حماسة فى الدفاع عن الجاهلية و أصدق الناس فراسة فى معرفة غايات الاسلام ، و لكنه — على بعد نظره و ذكائه — لم يكن يعرف أن الأمر يبلغ بالناس هذا المبلغ و أن الاسلام يؤثر فى الناس هذا التأثير و أن الجاهلية تطرد من

عاصمتها و مهدها هذا الطرد الشنيع ،

هاجت النخوة الجاهلية فى أبى جهل و ثارت روحه و رؤى متعلقاً بأستار الكعبة يستغيث على محمد (صلى الله عليه و سلم) و ينوح و يقول :

« إن قلوبنا — معشر الجاهلين — قروح و جروح تسيل دماً مما صنع محمد فقد أطفأ نور الكعبة و حط من مكانتها و قدرها لقد نعى قيصر و كسرى و تنبأ بزوال الملوك والسلاطين و نادى بأعلى صوته « إن الحكم إلا لله و « أن الأرض لله يورثها من يشاء « واغتصب شبابنا فثاروا علينا وفتنوا به و بدينه الجديد ساحر يسحر بكلامه قلوب الناس و عقولهم و هل كفر أعظم من قوله « لا إله إلا الله و انكار جميع الالهة التى آمن بها الناس و عبدوها فى جميع الأعصار والأمصار إنه طوى بساط دين الآباء و فعل بآلهتنا الأفاعيل لقد جعل اللات و مناة جذاذاً بضرباته الموجعة فليت العالم ينتقم منه و يأخذ ثأر الآلهة ، يا عجبا لقد جرد القلوب عن معبود مشهود يرى و يلمس (١) و ربطها بمعبود غير مشهود لا يرى و لا يلمس حتى كان هذا الايمان بالغيب أقوى و أعمق من الايمان بالمشهود الموجود و هل لهذا الايمان أساس ؟ و هل لما لا يرى وجود ؟ أليس من الجهل والضلالة والعمى والبلاهة سجود لغائب ؟ هل يجد الانسان لذة و حلاوة فى ركوع و سجود أمام غائب ؟

(١) يعنى به الأصنام من الحجارة و غيرها .

إن دينه حتف للوطنية والقومية إنه من قريش ، و لكنه ينكر فضل العرب ، إنه لا يفضل حراً على عبد و غنياً على الفقير و عربياً على عجمى يجلس مع مولاه على مائدة واحدة و يأكل معه ، أسفاً إنه لم يعرف قدر العرب الأحرار و أكرم العلوج والعبيد السود ، لقد اختلط الأحرار البيض بالعبيد السود واختلط الكريم باللئيم ، والجميل بالدميم و ذل العرب و ذل بنو قصى .

اننا لا نشك فى أن هذه المؤاخاة التى يحث عليها محمد كثيراً مبدأ عجمى و قد تحقق لدينا أن سلمان مزدكى و أن ابن عبدالله خدع به ، و جر البلاء والشقاء على الأمة العربية لقد جهل هذا الفتى الهاشمى قيمته و شرفه لقد أعمته هذه الصلاة التى يصليها ، هل لعجمى أصل عدنانى و هل لأعجمى نطق عربى و لهجة مضرية ؟ عجباً لعقلاء العرب و سادتهم كيف خدعوا بهذا الدين الجديد ألا يا شعراء العرب هبوا من نومكم و اغلبوا هذا الكلام الذى يسميه محمد وحياً بكلامكم البليغ الساحر ،

و لماذا لا تنطق أيها الحجر الأسود و لا تشهد بصدق ما نقول و لماذا لا تقوم يا هبل يا إلهنا الأكبر و لا تنتزع بيتك من هؤلاء الصباة ، أغر عليهم و عكر عليهم الحياة ، أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية تجعلهم أعجاز نخل خاوية ، يا مناة و يا أيها اللات بالله لا ترحلا من ديارنا و إن رأيتما الرحيل فبالله لا ترحلا من قلوبنا و إن كان لا بد من الرحيل فلا تعجلا وامهلانا أياماً نتمتع بكما (١)

(١) جاء بذلك الشاعر الاسلامى محمد اقبال

الوضع الداخلى فى إيران

بقلم

الشيخ مصطفى رهنما

رئيس « جمعية المسلم الحر » بايران

١ — إن عدد المسلمين فى إيران ٢٢ مليون نفراً ٣ ملايين منهم من أهل السنة (الشافعية والحنفية) . و يوجد أكثر من نصف مليون نفراً من غير المسلمين (النصارى ، البوذيين اليهود ، المجوس ، البهائية ، (و عددهم قليل لا يذكر) .

٢ — لا يوجد اليوم هنا الهيئات والأحزاب بمعناها الصحيح لأن رجال الحكومة لا يسمحون بذلك و يقال عن بعض الأحزاب العلنية باسم « حزب مردم » « الشعب » و « جمعيت آزادى إيران » « حرية إيران » و لا يكونان إلا العناوين و إلا العوبة . و أما الهيئات السرية و نصف سرية . فالقسم الأولى « حزب توده إيران » « الجمهور » والمعروف أنه « شيوعى » . والقسم الآخر « حزب إيران » و « حزب آزادى مردم إيران » (حرية الشعب الايرانى) و « حزب نيروى سوم » (القوة الثالثة) و غيرها من الأحزاب

الوطنية المصدقية وكلها لا يسمح لها نشاط يذكر . وجمعيتنا « مسلم آزاد » (المسلم الحر) التى تستفيد من كل الوسائل والفرص للسير إلى هدفها الاسلامى الذى لا ينحصر فى قطر إيران .

و أما الفرق والاتجاهات ، يكفى أن نقول أن الوطنيين واليساريين هم بضعة و تسعون فى المأية من الشعب الايرانى و لا يخفى أن الروح الاسلامية توجد فى كثير منهم ولا يتوهم أنهم قد خرجوا من الاسلام بانتمائهم إلى « القومية » و « الاشتراكية » . و أما الباقون الذين لهم روابط مع الحكام مباشرة ، أو لهم مصالح أقطاعية فيتجهون إلى الغرب . و أكرر كما ذكرت أن العمل بالاسلام ليوجد فى الأولين أكثر من هؤلاء و أن أكثر الأخرين عنايتهم بالاسلام لاستغلاله لمصالحهم الخاصة فقط .

و فى الجملة أن الشعب الايرانى ينتمى إلى سياسة الحياد الايجابى الذى يتفق مع الآية الكريمة « زيتونة لا شرقية و لا غربية ، يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار ، نور على نور »

٣ — إن تفاوت الطبقات بايران فاحش والزراع والعمال والعاطلون و أكثر أهل السوق و حتى أكثر المشتغلين للاسلام — العلماء والطلاب — لا يقدرون حتى على العيش المنخفض و إن الأقطاعيين و أرباب المناصب لا يريدون أن ينتبهوا من نومتهم و أن إيران خلاف أكثر الأقطار فى الشرق الاسلامى (مصر العراق ، الهند و غيرها) محروم من العمليات المعدلة بين الطبقات و يداوم على الطريقة الأقطاعية الرأسمالية الغربية ، و فى الأسابيع

الأخيرة التى قام فيها الملك — خوفا من ضياع مقامه — ببعض التوجيهات لطبقة الملاك لرد الأراضى إلى الفلاحين و لكنهم لم يعتنوا بها و إن مجلسى النواب والأعيان المملوتين منهم لا يصوبون هذه التوصيات .

٤ — إن حالة التعليم ليست مرضية لأن تعليم العلوم الاسلامية بقم و بمشهد ليس ملائماً للعصر و مطالبه ، و ليس للرؤساء والمدرسين هناك حرية العمل . و أما وزارة المعارف فهى تعتمد على البرنامج الدراسى و إن أكثر الصفوف فى المدارس تقرأ نصف اليوم الدراسى (لقلة المدارس والمعلمين) .

٥ — إن حالة الصحافة كحالة الأحزاب و ترى فيها الدعايات التى تنشرها وكالات الأنباء الغربية الصهيونية المسيحية الأوربية ، و ليس فيها نصيب لاندونيسيا و سوريا و مصر . فضلا عن الاسلام والحركات الدينية ، إلا ما يفوت الرقابة والمؤظفين السريين . و لا يوجد بايران مجلة إسلامية ، و إن مجلتنا « حياة المسلمين » محتجبة من زمان حكومة الجنرال زاهدى و قمنا بنشر بعض النشرات لمصر والجزائر و غيرها من المسائل الاسلامية و دخلنا السجن و دخلت السجن خمس مرات (و لا نبالى !) فالصحافة مختنقة أكثر من العراق والأردن رغماً عن ما تدعيه الحكومة . و لكن حالة التأليف أحسن بالنسبة إلى الصحافة و لكنها ليست مرضية .

لقد قام فى السنة الماضية السيد بلاغى بترجمة كتاب « الامام على صوت العدالة والانسانية » واستأذن لنشره آية الله حاج آقا حسين

البروجردى (أحد زعماء الشيعة الكبار بقم) و لكن الحكومة منعت من طبعه و نشره و برر هذا المنع بقوله إن فى الكتاب معانى اشتراكية ؛ لأنه كتب فيه مثلا « إن الذين يكنزون الذهب والفضة . .الخ

٦ — أما الشخصيات البارزة العاملة هنا فيظهر مما سبق أن العاملين بايران ، هم العاملون لانكلترا فى المرتبة الأولى و بعضهم عاملون لأميركا ، و أما زعماء الوطنيين مثل الدكتور مصدق والسيد صالح والدكتور خنجى ، الدكتور معظمى و آية الله سيد رضا الزنجانى و أضرابهم فلا يسمح لهم بالنشاط والحركة والأول منهم يعيش تحت المراقبة والخامس منهم يقيم الآن فى السجن العسكرى ، و أما زعماء اليساريين مثل الدكتور كيانورى والسيد قاسمى والدكتور تقى رادمنش لا يكاد يسمع له صوت ، و كثير منهم يقيمون الآن فى السجون و أما بعض الرجال الايرانيين مثل السيد سعيد نفيسى والدكتور متين دفترى فمن أوساط الناس قد ينتفع منهم الشعب فى الجملة . و لكنهم كأكثر أعضاء الشورى المركزية لجمعيتنا (مسلم آزاد) لا يقومون بشئ يذكر و أنا مع قليل من الأعضاء نلعب بالنار . . كما يلعب بهذا النار بعض أصحاب التضحية هنا .

و فى الجملة إن الخطر الموجود فى إيران هو عدم الحرية التى حرمتها انجلترا و أميركا علينا ، عدم الحرية الاسلامية و عدم الحرية السياسية ،

٧ — و إن القضايا الرئيسية التى تشغل الرأى العام ، إن الشعب الايرانى ينظر إلى القضايا الاسلامية مثل فلسطين والجزائر و إيريان

الغربية بعطف ، و إن قضية السلم و نصر الشعوب ليهمهم . و أما فى القضايا الداخلية لا يهمهم اليوم شئ لأنه ليس لهم علاقة بالوضع السائد فى بلادهم و لأن الأمور البسيطة فى الحياة كالسيارة والماء والكهرباء مختل عندهم و لايهمهم إلا إنقلاب الأمور إلى أحسنها و رفع يد الأجانب من بلادهم .

٨ — وليس — بحمد الله — هنا مشكلة الأقليات لأن الأقليات صرن أكثريات ! إن الدستور الايرانى الذى دون فى ذى القعدة سنة ١٣٢٤ الهجرية يقول أن اليهود والنصارى والمجوس هم الأقليات بايران . ولكن النصارى والمؤيدين بالهيئات التبشيرية الأميركية والانجليزية والايطالية لهم أيادى عاملة و مجالات واسعة كما أن الهيئات التبشيرية تقوم بهجمات فاحشة على الاسلام و لها نشرة شهرية و يكتبون فيها ما يشاؤون ، و أما اليهود فانهم يقومون بنشاط وافر و لاسرائيل مكتب خاص بشارع فرانسة بطهران .

أرسلنا كتاب رآه رشد والنشرة الأخيرة للجمعية حول الأزهر و تدريس الفقه الجعفرى بها . و غاية الجمعية و عدد نفوس المسلمين و كتاب الجزائر و نرجو أن ترسلوا إلينا من نشراتكم عن المسلمين .

و أخيراً نكبر مجهودكم و ندعو لكم بادامة هذا الواجب الاسلامى الحيوى . و بالرغم مما نعانيه من الاضطهادات المالية و غير المالية لا نقبل منكم التكليفات والمصروفات و نرجو أن لا تجعلونا محرومين عن أخباركم و نشراتكم ، ولا ريب فى أن نصرة الاسلام تريد اليوم بصيرة كاملة و تريد نبذاً للعصبية المذهبية والسياسية و طرد المصالح

الشخصية والحزبية » و نحن — فى إيران — نستفيد من التجارب السابقة و من بعض أخطائنا و من أخطاء خالى الشهيد (سيد عبدالحسين الواحدى) و صديقه الشهيد (سيد مجتبى نواب صفوى) فننظر إلى العالم بنظرة واسعة و لا ريب بأننا مؤمنون بالآية الكريمة « و يظهره على الدين كله و لو كره المشركون » و نعتقد بأن اليهود والنصارى — الذين يدعون التدين بدين الله ، من المشركين كما يقول تعالى إشارة إلى النصارى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً » .

التصوف كما قرره الاسلام

الأستاذ الكبير عبدالبارى الندوى

« وضع الاستاذ الكبير عبدالبارى الندوى كتاباً حول التصوف اعتنى فيه بتنقية التصوف من جميع الأخطاء التى علقت به سواء كانت حديثة أم قديمة أو كانت علمية أم عملية و من جميع الاتهام التى أخطأته ثم أظهره نقياً كالمرآة يصل كل امرئ بقرأته إلى نتيجة أن الذى اعتاد المتأخرون أن يسموه « التصوف » كان لب الاسلام و كمال الايمان و أنه لا يمكن لرجل ما أن ينال بركات الاسلام و ثمراته الدينية والدنيوية والفردية والاجتماعية والقومية والسياسية بدون أن يتحقق بهذا اللب و قد نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ محمد الرابع الندوى و ننشر جزءاً منه هنا فى مجلتنا ليعم النفع و يطلع القراء على صورة منه أيضاً »

« التحرير »

خطأ جسيم :

إن من الخطأ والالتباس العظيمين ما وقع فيه بعض كبار العلماء بأن حسبوا طرق التزكية السائدة اليوم هو التصوف بعينه ، و لذلك دخل الاشراقيون على وجه العموم و رهبان البراهمة على وجه الخصوص فى زمرة المتصوفة و هذا الالتباس الخاطئ لم يدخل فى عقول الناس إلا من الكلمة المعروفة الذائعة أن « الصوفى

لا مذهب له » فتحرر التصوف بذلك عن قيد الاسلام و جاز له أن يتحد إذا شاء مع كل عقيدة و دين غير الاسلام قال أصحاب هذا الفكر الخاطئ أن التصوف هو أسمى من أن يتقيد بظواهر الأعمال ، و إنه لزعم فاسد لا حقيقة له و لا صحة و قد استنكره شيخنا الشيخ أشرف على التهانوى قائلا « ليست كل تزكية تصوفاً ، إنما التصوف هو التزكية التى تخضع لأحكام الشريعة الاسلامية و تحصل باتباعها والامتثال لها ، و إنها هى التى يصلح بها المرء أمر آخرته و يدخل صاحبها تلك الجنة التى وعد بها المتقون إن الله تعالى قال (قد أفلح من زكاها) و ذلك باتباع الشريعة الاسلامية لا بمخالفتها ، أما الرياضات الروحية والمجاهدات البدنية الكثيرة التى يأتيها رهبان البراهمة و غيرهم فليست من التزكية والتصوف فى شئ مهما قيل عنها و مهما سميت بأسماء التصوف و لن تحمل تلك الأسماء والألقاب معنى و لا حقيقة من التصوف إنها ألفاظ مجردة فهى مردودة عندالله و غير مقبولة .

و على هذا الأساس يمكننا أن نجعل للتزكية قسمين ، أحدهما التزكية المرضية و آخرهما التزكية المردودة و قد ضرب له الشيخ التهانوى مثالا و قال :

« نغسل المرآة القذرة بالماء الصافى الخالص فتصبح رائقه لماعة ، فتعجب رائيها لكنها إن غسلت بالبول زال عنها القذارة والوسخ الملموسان وصفا مرآها بدون شك لكنها لن تتطهر و لن تعجب الناس و لن تروقهم بل إنما تكرهها النفوس و تتقذر منها ،

فلذلك لا يمكن لرجل ما أن يحرز رحمة الله و يحصل النجاح يوم الآخرة و حياته متعارضة مع الشريعة الاسلامية ، إن التصوف فى لفظه و معناه هو نفس ذلك العلم الذى عمل به رجل جلا قلبه و صفت نفسه و عمت التزكية فى قلبه فكانت أداة صالحة لرفع درجاته عند ربه ،

أما الحب الذى هو عنصر هام من عناصر التصوف والذى نجد مكتبة التصوف مليئة بذكره والحديث عنه فلا ريب أنه أسمى الخصائل القلبية و أكرم أحوال النفس لكنه لا يصح أيضاً و لا يتقبل عند الله إلا إذا كان تابعاً للسنة السنية و خاضعاً للشريعة السمحة ،

و يعد هذا الحب من خير خصائل القلب و أهم فضائله و إنه أيضاً لا ينشأ و لا يحصل ألا بعد الامتثال لأوامر الله و اتباع رسوله ، أما الحب الذى خلا من الخضوع للشريعة الاسلامية فلا قيمة له عندالله ، ولن يقبل لديه أبداً لأن الله يقول « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »

أما جهلة الصوفية فيستندون دائماً إلى الجملة الشائعة « الصوفى لا مذهب له » و يشرحونها شرحاً لا يتفق إلا مع ميولهم و رغباتهم فحسب و يظنون أن تزكية القلب و أن كانت غير خاضعة للشريعة الاسلامية هى أرفع درجة من العبادات والأعمال الظاهرة مثل الصلاة والزكاة و غيرهما ، و أن هذه الأعمال أحط منزلة و أقل قيمه من طرق التزكية السائدة المشهورة ،

أما الاسلام بالعكس من ذلك فلا يعتبر من صفات القلب و خصائله و لا يستحسن و لا يقبل إلا تلك الخصائل التى تنشأ و تحصل من المواظبة على الصلاة والصيام والعبادات المشروعة الأخرى والامتثال للأحكام المأمور بها فى الشريعة الاسلامية ،

و ترمز الآية الكريمة (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) إلى أن الخشوع الذى هو من صفات القلب والذى يأتى بالفلاح يوم الآخرة هو ذلك الذى يكون فى الصلاة و يختص بها فكيف يمكن إذن للصوفى الذى لا يقيم الصلاة و لا يؤديها أن يحرز هذا النوع من الخشوع و يكسب به فلاح الآخرة و سعادتها ،

و قس على ذلك جميع العبادات مثل الزكاة والصدقات والحج والصيام و غيرها فانها تشبه الصلاة فى ذلك القانون فانه لا تجدى هذه العبادات نفعاً أيضاً إلا إذا كانت مطبوعة بتلك الحالة القلبية التى ذكرها القرآن أنها تلزم و تجب لصحة الصلاة و قبولها ،

و خلاصة القول أن امتثال الشريعة الاسلامية و اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام هما أهم الأعمال و أوجبها و إن الذى لا يخضع و لا يستسلم لها و لا يحافظ على إكمالها لا يمكنه أن يبلغ رضا الله و يحرز ثوابه و جنته و لا شبهة أن الجنة و رضا الله سبحانه و تعالى هما غايتان منشودتان و هدفان جليلان لكل مسلم ، أ فليس التصوف باطلا إذا تحرز من الخضوع لأحكام الشريعة و من السعى للعمل بها كاملة ، و كما أن كرامات الأولياء لا تصح و لا يقبل إلا إذا كان صادرة من رجل ورع تقى بار كذلك التصوف لا يصح و لا يقبل

عند الله إلا إذا كان فى رجل ورع تقى عامل بالشريعة خاضع لها و لا بدع فى ذلك فقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم و هم سادة الأولياء و أئمة الأبرار يواظبون على جميع العبادات من صلاة و صوم و حج و زكاة و جهاد و تلاوة للقرآن و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و غير ذلك من الأعمال الصالحة و يداومون عليها ، و لذلك كانت قلوبهم صافية و نفوسهم زاكية لأنهم أدوا هذه الأعمال كلها أحسن الأداء فرضى بهم الله سبحانه و قال فى كتابه عنهم « رضى الله عنهم و رضوا عنه » فثبت أن التصوف ليس إلا تزكية للباطن مع الامتثال للشريعة الاسلامية والاستسلام لها كل الاستسلام ،

التصوف فى لفظه و معناه :

أما اسم التصوف فهو مثل أسماء أخرى لعلوم و فنون إسلامية شتى لا يختلف عنها فى شئ فكما أن لكل من علوم التفسير والحديث والفقه و غيره إسماً و لقباً كذلك لعلم التصوف اسماً و لقباً ، كانت العلوم كلها غير مميزة فى معالمها و غير محددة فى أشكالها فى عصر الرسول عليه السلام و إنما ميزها و قرر حدودها و معالمها و وضع أسماءها علماء الاسلام فى عصر تلا عصر الرسول عليه الصلاة والسلام و ذلك لأنهم حينما درسوا الشريعة الاسلامية فى أنحائها المختلفة و خاضوا فى أعماقها وجدوها تحتاج إلى تقسيمها و توزيعها بين أجزاء مختلفة ليسهل أمر دراستها و يمكن الاحاطة بها إحاطة متزلة متينة و كانوا يبغون بذلك تأييد دينهم و تبليغه ففعلوا ذلك و من هنا

تحددت هذه العلوم و توزعت فى هذه الأقسام المعروفة و تسمت بأسمائها كذلك كان التصوف أيضاً فى ذلك الوقت فى مرحلة بدائية و غير مميز و لا مبين لم تحدد معالمه و لم يسم باسم خاص بل كان داخلا فى علوم مختلفة متغلغلا فيها تشتمل عليه النصوص القرآنية والأخبار النبوية ، و كان الناس يستفيدون به حسب ما يحتاجون إليه و بهذه الاستفادة والأشتغال المتواصل به لم يزل رصيده يزداد و ثروته تفيض بما أضاف إليه مشائخ الاسلام والربانيون من أحوالهم و كيفياتهم النابغة من مجاهداتهم و مراقباتهم و عبوديتهم الصادقة حتى اقتضى الأمر أخيراً إلى أن يحددوا معالمه و يجعلوه فى علم بعينه ففعلوا ذلك و أسموه بكلمة « التصوف » و تزكية الباطن و قرروا له طريقة تعليم و تربية خاصة و كان من رأيهم أنها خير طريق و أسرعها للبلوغ إلى غاية تزكية النفس و تربيتها

و كما أن علماء الاسلام توزعوا فى شتى الجماعات العلمية لاختصاصاتهم فى العلوم الاسلامية كل بعلم بعينه حتى وصل بعضهم إلى درجة الامامة والنبوغ فى الناحية التى اختص بها فعرف بذلك و أشير إليه بالبنان و خلد ذكره على صفحات التاريخ و أثنى عليه أقرانه و من عرفوه معرفة جيدة حتى قال الامام الشافعى و هو إمام فى مذهبه الفقهى حينما عرف الامام أبا حنيفة و فقهه فى الدين (الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة) وعد علماء الاسلام الامام البخارى غاية فى علم الحديث و حجة فيه ، و لا يزال البخارى فى مكانته هذه عند المسلمين اليوم ، أقول فكما نبغ فى هذه العلوم واختص

بها رجال وعدوا بذلك رجال الفن و أئمته كذلك نبغ فى علوم الباطن رجال عظام قاموا بتزكية الباطن و تربية النفس الانسانية واتخذهم الناس قدوة فى هذه الناحية و جعلوهم أئمتهم فيها و أولئك أمثال الشيخ عبدالقادر الجيلانى والخواجه بهاء الدين والخواجه معين الدين السجزى والشيخ شهاب الدين السهروردى رحمهم الله و من قبلهم من أمثال الجنيد البغدادى والشيخ شبلى و غيرهما ، و لقد سمت مكانتهم و علت منزلتهم فى التصوف و نبغوا فى ذلك نبوغاً ، و إنما يجب أن تتبعهم فى هذا الباب و أن نستنير بأعمالهم و نصائحهم و نتخذهم قدوة و أئمة فى التصوف والتربية الباطنية ،

إن الاتصال بمشيخة التصوف ليس شرطاً للاستقامة فى الدنيا والنجاح فى الآخرة بيد أن الغاية المطلوبة والمنزلة التى تدعى بالكمال الدينى لا تحصل بدون الملازمة والمصاحبة للبارعين فى الفن و نبغاءه من الذين يترسمون خطى أئمتهم من رجال هذا الفن ،

و كما أن العلوم الأخرى التى فرعها العلماء من الكتاب والسنة عرفت بأسماء خاصة كعلم الفقه و علم الحديث بحيث إذا درس الطالب كتاب الهداية أو غيره من كتب الفقه قيل له أنه درس الفقه مع أنه إذا درس كتاباً فى الحديث لم يقولوا أنه درس الفقه ولو أن الفقه بمعناه العام هو معرفة النفس بما لها و ما عليها فمن هذه الناحية اشتمل الفقه على علوم كثيرة أمثال الحديث والتفسير والكلام فكذلك إذا سلك امرؤ ما فى طريق دله عليه مشيخة المسلمين و هداه إليه المتخصصون فى أعمال القلب والباطن

و بذل فى ذلك من وقته و سعيه ، قيل عنه أنه تعلم التصوف و أخذه و أنه صوفى مع أن التصوف أعم من ذلك فانه يشتمل على الصلاة والصيام و غيرهما من العبادات الأخرى أيضاً لكنه لا يسمى تصوفاً إلا تلك الخطة الخاصة ولا يسمى متصوفاً إلا العامل بها والسالك عليها ،

والغاية من هذا البحث هو شرح حقيقة التصوف المصطلح أما عمله و مهمته فى الحياة فهو تطهير الباطن من رذائله و تحليته بالفضائل والسجايا و أما غايته فهى إيجاد الانابة إلى الله سواء كان هذا الايجاد بطرق أخرى غير التصوف مما لا يخرج من الشريعة ،

والحاصل من ذلك أن الدين إنما هو محاولة للوصول إلى الفلاح الأخروى فى الآخرة و اكتساب رضا الرب سبحانه و تعالى و لما كانت كل ذرة لهذا الكون الذى صنعه الله و هو الظاهر والباطن مظهراً لربه من كلتا الناحيتين ناحية الظهور و ناحية البطونة أو بلفظ آخر من الناحية الجسمية والناحية القلبية ، تعلقت العلوم الدينية الظاهرة بظواهر الأعمال و أحكامها الشكلية أو بتصحيح الظاهر و تحليته و تعلقت العلوم الدينية الباطنية أو علم التصوف باصلاح الباطن و تحليته و حيث علمنا أن علاقة الكمال والاصالة هى بالكيفية أكثر مما هى بالظاهر علمنا أنه لا يمكن الوصول إلى الكمال و لا يمكن العثور على الحقيقة بدون العمل بطريقة التصوف و إيثار الحياة الصوفية و اختيارها .

أقول و لا أبالى بسخط أهل القشور والظواهر أن اللباب
هو اللباب أولا و أخيراً لا يتغير ولن يتغير عن حقيقته مهما
يقال عنه و مهما يعارضه المعارضون و إنه لا يوجد إلا فى جوف
القشور و فى دواخل المظاهر فيجب أن يعلم المتصوف الذى
لا يؤمن بغير اللباب أن القشر هو الذى يحمى اللباب والباطن
و يصونه و لا يمكن أن يفصل أى أحدهما عن الآخر ،

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « أن تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك » فاخبرنا بضرورة الاحسان فى العبادة
و مما لا شك فيه أن العمل لا يبلغ من الصحة والجودة مبلغاً عالياً
إلا إذا خلا من كل نقيصة و قصور خذ الخبز مثلا إنه لا يبلغ
درجة الجودة بحيث يسيغه آكله و يستطيبه طالبه إذا خلصت
مادته و أجيد طبخه كذلك العبادة لا تصح و لا تحسن إلا إذا
خلت من النقيصة والقصور و مما يخطئ فهمه و لا يدركون
كنهه هو صور العبادات و أشكالها الظاهرة إذ يعدونها و يحسبونها
هى العبادات نفسها و هى عندهم حركات سجود و قيام و ركوع
دون النفوذ إلى دواخل هذه الحركات و يكتفون بالظواهر التى رتبها
و حددها الفقهاء . لا شك أن ما رتبوه صحيح معقول و فى محله
من الصدق والصحة لكن ليس معنى ذلك أن نقصر هذه العبادات
فى صورها و مظاهرها بغير أن نتعدى إلى أكنانها و إلى
معان مضمونة فيها ،

« لو درسنا الشريعة الاسلامية دراسة دقيقة لوجدنا أن

هناك فقهاً آخر مع هذا الفقه الظاهرى المعروف و هو يدور حول
لباب الشريعة و يبحث فى صميمها و يقال له « التصوف » و هو
لا يخرج من أبواب الفقه الظاهرى أيضاً فلو بحثنا فيه من هذه
الناحية لوجدناه محدداً مثل أبواب الفقه الظاهرى الأخرى من
صلاة و زكاة و غيرهما و حيث أننا نقسم العبادات الظاهرة إلى
أبواب و أقسام من صلاة و صيام و زكاة و يسميها أبواباً للفقه
لأنها تتفرع منه فما الذى يدعو إلى أن نرى مستحيلا جعل التصوف
كذلك باباً منه كأبوابه الأخرى و لقد أفرد كثير من العلماء أبواب
الفقه العامة من الصلاة و غيرها بالبحث والذكر و جردوها من الفقه
و لم يستدع ذلك فصل تلك الأبواب عن الفقه فكذلك التوحيد
والاخلاص أو الكبر والتواضع والعجب و غيرها من أخلاق محمودة
أو مرذولة أفردت بالبحث و ذكرت مجردة عن الفقه فكيف أصبحت
خارجة من علم الفقه و أبوابه ،

دع الفقه الظاهرى وانظر فى القرآن والحديث أ فلا تجد فيها
أحكام الفقه الباطنى و أوامره مع أحكام الفقه الظاهرى و أوامره
جنباً بجنب بل ألا تجده أكثر منه و أقوى فى كثير من مواضعها
لكن المصيبة هى أن العلم هو نفسه قد أصبح غاية و مقصوداً لذاته
لدى كثير من العلماء و فى مدارسهم و لذلك لا تهمهم و لا تشغل بالهم
إلا الكتب وكل ما تحتوى عليه فيدور حولها شغفهم واهتمامهم
يجرون فيها الامتحانات و يمنحون السابقين فيها الجوائز و
يعطون الفائزين فيها الشهادات و يرغبون المتعلمين فى تركيز

دراساتهم عليها و قد انفتح للعلم الدينى باب الجامعات أيضاً فبدأ المتعلمون يتخصصون فى نواحيه المختلفة واتخذوه بذلك ذريعة إلى المنافع المادية فضاع العمل و ضاع الاخلاص و لما تغير الشكل و تشوه المظهر فما بقاء المعنى واللب إذن ،

الشيخ عبدالقادر الجيلانى

للأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى

« بدأت جامعة دمشق تطبع محاضرات الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى التى القاها فى مدرج الجامعة الكبير بدعوة من كلية الشريعة عام ١٩٥٢ م وكانت عشر محاضرات و قد اضاف اليها المحاضر محاضرات جديدة منها محاضرتان عن المجدد الاسلامى الكبير والداعية العظيم الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، و لعلها أول محاولة علمية لعرض حياته الاصلاحية فى ضوء العلم والتاريخ و هنا قطعة من هذه المحاضرة تناول فيها المحاضر جانباً من أهم جوانب حياته و قد أخطأ فهمه و مراميه كثير من « المتورين » و « المتجددين »

البيعة والتربية :

إنتفع أهل بغداد و من أمها من جهات بعيدة بهذه المواعظ الرقيقة المرققة و بهذه الخطب المجلجلة المدوية ، و تغيرت حياة ألوف من الناس ، و لكن مجالس الدعوة والوعظ حلقات حرة مؤقتة يؤمها أناس و يحضرونها ، ثم يتغيبون عنها و يهجرونها ، و يداوم عليها كثير من الناس ثم يظلون على ما هم عليه من تقاليد و عادات ، و أهواء و شهوات ،

اتسع العمران فى الحواضر والمدن و شغلت الحياة و حاجاتها

النفوس ، فقل من يعتكف فى المدارس و ينقطع إليها ليدرس العلوم الدينية و يتوسع فيها ، و هكذا أصبحت هذه المدارس النظامية (التى تخضع لقيود كثيرة و تقاليد) قاصرة عن إصلاح شعبى و تربية عامة ، و بقيت منحصرة فى نطاق ضيق ، لا تفيد و لا تسعف إلا العدد القليل الذى يلتحق بها و ينتسب إليها فلا صلة لها بالشعب و لا صلة للشعب بها إلا عند الاستفتاء أو ما يشبه ذلك ، و إنما تعيش فى عزلة عن الحياة و كذلك المؤلفون والمثقفون الكبار فالفجوة الثقافية والعقلية بينهم و بين الشعب واسعة و عميقة لا يعبرها إلا الخاصة والشواذ ، ثم إن صلة الناس بالعلماء والمؤلفين صلة علمية عقلية لا تخضع لها القلوب والنفوس و لا تنصبغ بها الحياة والأخلاق والطبائع إلا فى النادر ، و لا يتقيد بها الناس و لا يرتبطون بها ارتباطاً روحياً إلا فى النادر ،

كان المسلمون فى حاجة إلى دعاة و شخصيات قوية جامعة تجمع بين تلاوة الآيات و تعليم الكتاب والحكمة و تزكية النفوس ، و هكذا تخلف الرسول صلى الله عليه و سلم فى أمته بعد انقطاع النبوة و تجدد صلتها بالله والرسول ، و تجدد الميثاق الذى دخلت فيه هذه الأمة والمسلمون جميعاً عن طريق الايمان والنطق بالشهادتين ، و ما عاهدت عليه و بايعت الرسول صلى الله عليه و سلم — مع بعد الزمان والمكان — من السمع والطاعة و مخالفة النفس والهوى والشيطان والتحاكم إلى الله والرسول ، والكفر بالطاغوت والمجاهدة فى سبيل الله ، فقد تغافل عن ذلك الخلفاء واقتصروا على الجباية والفتوح

و أخذوا البيعة لأنفسهم و أولادهم ، و عجز عن ذلك العلماء واشتغلوا بالفتوى والوعظ والتدريس ، والعلم والتأليف و إذا أرادوا ذلك لم يخضع لهم العامة ، لأنهم لا يرون فيهم — إلا النادر القليل — الاخلاص والزهد و أثر الخلافة النبوية ، و هكذا ضعف الشعور فى العامة والسوقة والفلاحين والعملة حتى فى كثير من الخاصة والمتعلمين ، بأن الاسلام عهد و ميثاق ، و بيع و شراء ، بين العبد و ربه ، و أصبحوا أحراراً فى تصرفاتهم ، جامحين عاتين فى شهواتهم هملا و قطعاناً لا يضبطهم راع ، و ضعفت فى كثير منهم الرغبة فى الطاعات و بلوغ درجة الاحسان ، والحصول على نور اليقين و بشاشة الايمان ، و تقاصرت الهمم ، و خمدت النفوس ، و أقبل الناس — إلا من عصم ربك — على اللذات والشهوات بنهامة و شهوة ،

ضيعت الخلافة الاسلامية — كما وصفنا سالفاً — روح الخلافة و أمانة النبوة ، و أصبحت ملكا و سياسة ، و إدارة و جباية ، فقام فى نواحى المملكة الاسلامية الواسعة خلفاء الرسول صلى الله عليه و سلم ، والربانيون يجدد الناس بدعوتهم و صحبتهم ميثاق الاسلام ، و يدخلون فى السلم فقهاً و إرادة ، بعد ما دخلوا فى الاسلام وراثة و عادة و يستردون بتعليمهم و تربيتهم حلاوة الاسلام و لذة الايمان ، و يخرجون من سلطان الهوى و رق الشهوات و عبادة الناس و ينشطون فى العبادات والطاعات ، والدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله ، من أشهر هؤلاء الدعاة

المربيين الحسن البصرى والفضيل بن عياض و معروف الكرخى
والجنيد البغدادى رحمهم الله تعالى ،

وانتهى الأمر إلى القرن السادس و قد تباعد الزمان عن النبوة و آثارها و بركاتها واتسعت الدنيا و كثرت أسباب الغفلة واللهو و طال على المسلمين الأمد فقست قلوبهم ، هنالك نهض فى بغداد — دارالسلام و قلب عالم الاسلام — رجل قوى الشخصية قوى الايمان ، قوى العلم ، قوى الدعوة ، قوى التأثير ، فجدد دعوة الايمان والاسلام الحقيق ، والعبودية الخالصة ، و أخلاق المؤمنين المخلصين ، و حارب النفاق الذى انتشر فى المجتمع الاسلامى بقوة منقطعة النظير فى تاريخ الاصلاح والتجديد و فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى يجددون العهد والميثاق مع الله و يعاهدون على أن لا يشركوا و لا يكفروا و لا يفسقوا و لا يبتدعوا و لا يظلموا و لا يستحلوا ما حرم الله و لا يتركوا ما فرض الله ، و لا يتفانوا فى الدنيا و لا يتناسوا الآخرة ،

و قد دخل فى هذا الباب الذى — فتحه الله على يد الشيخ عبدالقادر خلق لا يحصيم إلا الله و صلحت أحوالهم ، و حسن إسلامهم و ظل الشيخ يربيهم و يحاسبهم ، و يشرف عليهم ، و على تقدمهم ، و أصبح هؤلاء — التلاميذ الروحيون — يشعرون بالمسئولية بعد البيعة والتوبة و تجديد الايمان على يد عبد مخلص و عالم ربانى شعوراً جيداً و ظل بينهم و بين الشيخ رباط وثيق عميق أقوى من رباط

التلاميذ بالأساتذة والشيوخ و من رباط الجند بالقائد ، و من رباط الرعية بالراعى ، إنما هو رباط روحى دينى لا يهن و لا ينحل ، و إنما هو ميثاق لا ينقض و لا ينكث ، ثم يجيز الشيخ كثيراً منهم — ممن يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية — فينتشرون فى الآفاق ، يدعون الخلق إلى الله و يربون النفوس و يحاربون الشرك والبدع ، والجاهلية والنفاق ، فتنتشر الدعوة الدينية ، و تقوم ثكنات الايمان و مدارس الاحسان ، و مرابط الجهاد ، و مجامع الأخوة فى أنحاء العالم الاسلامى ، و قد استطاع الشيخ عبدالقادر أن يستمر فى دعوته و جهاده أكثر من نصف قرن فى بيئة اشتد فيها الاستبداد و كثرت فيها الوساوس و شاعت فيها الوشايات والسعايات ، و أخفقت فيها الدعوات السياسية و حورب فيها المعارضون للحكومة بقساوة و شدة ، واحتمل الخلفاء والأمراء نقده الشديد و إنكاره على تصرفاتهم و مناهج حياتهم و ما كان ذلك إلا لاخلاصه الذى لا يتطرق إليه شك ، و لا ترتقى إليه شبهة ، و زهده فى كل ما يحرصون عليه و يضنون به و بذله النصيحة والشفقة لكل من يدين بالاسلام بل يتحلى بالانسانية ، وانقطاعه إلى الدعوة إلى الله والارشاد إلى معالم الحق ،

دعاة الاسلام و مشاعل الايمان :

و قد كان لخلفائه و تلاميذه لمن سار سيرتهم فى الدعوة و تهذيب النفوس من أعلام الدعوة و أئمة التربية فى القرون التى تلته فضل كبير فى المحافظة على روح الاسلام و شعلة الايمان و

حماسة الدعوة والجهاد ، و قوة التمرد على الشهوات . السلطات فلو لا هم لابتلعت المادية التى كانت تسير فى ركاب الحكومات والمدنيات هذه الأمة وانطفأت شرارة الحياة والحب فى صدور أفرادها ، و قد كان لهؤلاء فضل كبير فى نشر الاسلام فى الأمصار البعيدة التى لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعها للحكم الاسلامى (١) وانتشر بهم الاسلام فى أفريقيا السوداء ، و فى إندونيسيا جزر المحيط الهندى ، و فى الصين و فى الهند ،

و لما فتح التتار العالم الاسلامى فى القرن السابع الهجرى ، و أثخنوه جراحاً و قتلا و لم يتركوا فيه إلا روحاً ضعيفة و نفساً خافتاً ، و فل سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر و لا يعمل ، و أغمده المسلمون يأساً و قنوطاً ، و آمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم ، و أن العالم الاسلامى قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هولاء الهمج ، و أن الاسلام لا مستقبل له ، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والاصلاح — على إحصائه و استقصائه — يجهل أسماء كثير منهم ، يتسربون فى هؤلاء الغلاظ الشداد ، يفتحون قلوبهم للاسلام حتى تفتحت له و أحبته ، و صاروا يدخلون فى دين الله أفواجاً و لم يمض على زحفهم على العالم الاسلامى و إذلالهم له كثير زمان حتى أسلم جلهم أو كلهم ، و صاروا من حماة الاسلام و حملة رأيته ، و كان منهم فقهاء ، و زهاد و مجاهدون ، هكذا أخضعوا للاسلام من

(١) راجع كتاب « دعوة الاسلام » لتومانس ارنلد الانجليزى

أخضع العالم الاسلامى بالأمس ، من شرقه إلى غربه ، و أدخلوا أمة قهرت الأمم كلها فى عصرها فى دين لا يحميه سيف و لا يدافع عنه جيش ، و قد كانت ثلث ديانات هى أعظم ديانات العالم تتنافس فى اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم « البوذية » و « المسيحية » والاسلام ، و كانت البوذية أقرب إلى فطرتها و بيئتها ، و كانت النصرانية أرفع مكانة و أقرب زلفى فى مجالس سلاطينها ، و لكن الاسلام — بفضل دعاته المخلصين — انتصر على منافستيه — البوذية والنصرانية — و أسلم التتار أمة و جنساً و كونوا دولا إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الاسلام ، و كان انتصار الاسلام على الديانتين المنافستين البوذية والنصرانية ، حادثة غريبة لا تعلل إلا بمشيئة الله تعالى و تأييده و تفوق دعاة الاسلام فى الاخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية يقول أرنلد :

نهض الاسلام من ركام مجده الغابر و انقاض عظمته التى قضى عليها التتار ، و أخضع دعاة الاسلام هؤلاء المغول الوحوش الذين نثروا كنانة ظلمهم و قساوتهم على المسلمين ، لقد واجه المسلمون فى هذا السبيل مصاعب عظيمة و لقوا عنتاً كبيراً ، فقد كانت تنافسهم فى ذلك ديانتان عظيمتان ، البوذية والنصرانية و كان دعاتهما يحرصون أشد الحرص على اقناع التتار والمغول بعقيدتهم و ديانتهم ، لقد كانت منافسة هذه الديانات العظمى فى إخضاع هذه القوة القاهرة لعقيدتها صراعاً عجيباً ينظر إليه التاريخ و ينظر إليه العالم بدهشة

و استغراب ، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسو هذه الديانات و حطموها ، لم يكن أحد يتوقع أن الاسلام سينتصر فى هذه المعركة و يهزم البوذية والنصرانية ، و يستأثر بالتتار فقد كانت عاصفة هجومهم و غارتهم أشد على المسلمين منها على غيرهم وكانت خسارتهم فى ذلك أعظم من خسارة أية أمة و دولة و ديانة لقد أصبحت العواصم الاسلامية التى كانت مهد العلوم والحضارة و مقر نوابغ قارة آسيا و عباقرة العلم والفن خراباً يباباً . و قتل التتار علماء المسلمين و فقهائهم و أسروهم واستعبدوهم ، و قد كان ملوك التتار و أمراؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الاسلام ..... ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الحبشية التى جاءت بعدهم بديانة أمة داستها بأقدامها ، واعتنقت الاسلام » (١)

و لا شك أن الفضل فى ذلك كما صرح به أرنلد و غيره من المؤرخين الاسلاميين يرجع إلى هؤلاء الدعاة المخلصين و ربانيتهم و حرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين من غير رحمة ، و انقاذهم من الوثنية والهمجية ، و هدايتهم و نجاتهم ، وانتهازهم لذلك كل فرصة ، و قد نقل أرنلد قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم و رقة موعظتهم ، و تجردهم من الأنانية والكبرياء ، و كم لها من أمثال فاتت التاريخ و أفلتت من أعين المراقبين و أقلام المسجلين .

(١) دعوة الاسلام ص ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٧ ٢٤٩

« أسلم سلطان كاشغر الذى كان يسمى تغلق تيمور خان (١٣٤٧ م — ١٣٦٣ م) على يد الشيخ جمال الدين الذى جاء من بخارى ، و كان من خبره أنه كان مع رفقة له فى رحلة ، فمروا بأرض السلطان التى كان قد حماها للصيد و هم لا يشعرون ، و أمر بهم الملك فأوثقوا و عرضوا عليه ، و قال و قد استشاط غضباً كيف دخلتم فى حماى من غير إذن ؟ قال الشيخ نحن غرباء و لم نشعر بأننا نمشى على أرض ممنوعة ، و لما علم الملك أنهم إيرانيون ، قال فى احتقار و سخرية ، حتى الكلاب أفضل من الايرانيين ، قال الشيخ صدق الملك لو لا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنا إذن من الكلاب و تحير الملك و مضى للصيد ، و بقيت الكلمة تشتغل فكره ، و أمر بعرضهم عليه بعد الصيد ،

و لما رجع خلا بالشيخ و قال فسر لى ما قلت لى ، و أخبرنى ما تعنى بالدين الحق ؟ و فسر الشيخ الاسلام فى حماسة و قوة تفسيراً رق له قلب السلطان ، و صور الكفر تصويراً بشعاً هائلا فزع منه السلطان ، و أيقن أنه على ضلال و خطر ، و لكن السلطان رأى أنه لو أعلن الاسلام لما استطاع أن يدخل قومه فى الاسلام ، و رجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولى الملك و جلس على أريكة الحكم زاره ، و كانت المملكة الجغتائية قد توزعت فى إمارات متعددة ، واستطاع تغلق تيمور أن يجمعها و يكون منها مملكة كبيرة ، و رجع الشيخ جمال الدين إلى بلاده و مرض مرضاً شديداً ، و لما

حضرته الوفاة ، دعا ولده رشيد الدين و قال له : إن تغلق تيمور سيكون فى يوم من الأيام ملكا عظيماً . فإذا سمعت بذلك تزوره و تقرئه منى السلام و تذكره بما وعدنى به ، (من اعتناق الاسلام) وكان كذلك فقد بويع تغلق تيمور بالملك و جلس مكان أبيه ، و دخل الشيخ رشيدالدين فى المعسكر لينفذ وصية أبيه . و لكنه لم يخلص إلى الملك ، فاحتال و بدأ يوماً يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان فى الصباح الباكر ، فطار نوم السلطان و غضب و طلب الشيخ رشيدالدين و حضر الشيخ و بلغ السلطان تحية والده و كان السلطان على ذكر منه ، فنطق بالشهادتين و أسلم ، ثم نشر الاسلام فى رعيته و أصبح الاسلام ديانة الأقطار التى كانت تحت سيطرة أولاد جغتائى ابن جنكيز خان » (١)

(١) دعوة الإسلام لأرنلد ص ٢٥٦

البحث عن الحق

للأستاذ وحيد الدين
رامبور (الهند)

إن هذا الكون يمتد أمامنا ككتاب مفتوح ، و لكنه على كل حال كتاب غريب فلا تجد فى أى صفحة من صفحاته إسم المؤلف و مع ذلك فان كل سطر من سطوره يشهد بمؤلف هذا الكتاب و كل حرف من حروفه يبدى بلسان حاله غرض المؤلف من وضعه و تأليفه ،

إن كل رجل يفتح عيونه فى هذا العالم و يجيل بصره فى هذا الكون الواسع يجد نفسه تتسائل ، من أنا و ما هذا الكون ؟ إنه يرى نفسه قلقاً مضطرباً لمعرفة نفسه و معرفة هذا الكون ، إنه يحن إلى قرأة أسرار الطبيعة و رموزها إنه يحب أن يطلع على أسباب هذه الأحداث التى تواجهه فى هذا العالم والظروف التى يعيش فيها و بالجملة فانه يقابل أسئلة حائرة كثيرة لا يجد لاحداها جواباً . إن هذه الأسئلة ليست أسئلة فلسفية تتصل بما وراء الطبيعة والحياة بل هى أسئلة من صميم الحياة بل هى الحياة نفسها ، لأن هذه الأسئلة نتيجة طبيعية للفطرة البشرية و ظروفها ، إنها أسئلة واجهت

كل إنسان وطئت قدماه هذه الأرض ، و فى حالة عدم الوصول إلى رد صحيح حاسم وقع الناس فى متاعب شتى فمنهم من جن جنونه و منهم من انتحر و منهم من قضى حياته على الأشواك و منهم من غرق فى ملذات الحياة إلى آذانه متناسياً هذه الأسئلة و محاولا للتخلص من هذه المتاعب الفكرية فنسى ذلك الذى لم يستطع الوصول إليه بتفانيه فى ذلك الذى جاهد من أجله فوصل إليه !

إننا نستطيع أن نحدد هذه الأسئلة فى كلمة واحدة و هى « البحث عن الحق » ، و لكننا إذا قمنا بتحليلها و دراستها فهى تأتى أمامنا فى صورة أسئلة متعددة يمكن أن تسمى بأسماء مختلفة و لكننى سوف أحصرها للسهولة فى ثلاث نقط ،

١ — البحث عن الخالق

٢ — البحث عن المعبود

٣ — البحث عن المصير أو العاقبة

إننى أظن أن كلمة « البحث عن الحق » تشمل هذه النقاط لثلثة فمهما حاولنا أن نسمى هذه الأسئلة بأسماء أخرى فانها سوف لا تعدو هذه النقاط المذكورة ،

يبدو فى الظاهر أننا لا نعلم عن الردود الصحيحة لهذه الأسئلة شيئاً ما مطلقاً ، و ليست هناك لافتة معلقة فوق سطح جبل كتب عليها حلها و لكن من الحقيقة أن الحل يكمن فى الأسئلة نفسها ، إن هذا الكون يشير إلى كنهه و حقيقته بنفسه ، و لو أنه

لا يمكنه أن يوصلنا إلى حل قطعى لا يتطرق إليه الشك إلا أن إشاراته واضحة و قوية إلى حد أنه إذا وصلنا إلى الحقيقة فهناك يصيح وجداننا ، أن هذه هى الحقيقة بلا مراء ، و أنه لا يمكن أن يكون لهذا الكون حقيقة أخرى و تفسير آخر غير هذه الحقيقة أو غير هذا التفسير ،

إن السؤال الأول الذى يقفز إلى مخيلة الانسان — و هو يسرح بطرفه فى هذا الكون — أنه من الذى خلق هذا الكون و أبدعه ، و من الذى يسير هذا المصنع الهائل العجيب منذ ظهر فى الوجود ،

إن رد العصر الحديث على هذا السؤال يتلخص فى أن هذا الكون ظهر فى حيز الوجود مصادفة و إذا وقعت مصادفة أولى فلا بد أن تتبعها مصادفات أخرى ، و هكذا نشأ فيه حلقة مفرغة من الأحداث والأسباب و هذه الحلقة من الأحداث والأسباب هى التى تسير هذا العالم ، إن هذا التوجيه أو هذا التفسير قام على مبدأين ،

أولا : المصادفة

ثانياً : فلسفة التعليل (Law of Causation)

إن هذا التوجيه يقول أنه لم يكن هناك وجود للكون من قبل و لم تكن النجوم والأقمار ، و لكن المواد كانت موجودة فى الفراغ ، و لم تكن المادة فى هذا الوقت فى حالة انجماد ، و لكنها كانت منتشرة فى الفراغ الكونى فى صورة اشعاعات ذرية (Protons) و كان هناك غبار من هذه الذرات الصغيرة ، و كانت تلك المواد

فى حالة استقرار واتزان لم يكن بها حراك و إن أدنى حركة كان يمكن أن يحدث فيها اختلالا لا يقف عند حد ، فاذا سلمنا هذا الاختلال الأول الذى حدث فيها بأى طريقة فقد ثبت جميع ذلك الأحداث والتطورات الكونية التى وقعت فيما بعد منطقياً ، و هكذا كان فقد حدث هذا الاختلال أو هذا الاضطراب فعلا فى تلك المواد الساكنة المتزنة ، وكان هذا الاضطراب أو هذه الحركة كالحركة التى تحدث فى الترعة الهادئة حينما ندخل فيها اليد ، وامتدت هذه الحركة و تطاول هذا الاختلال حتى تجمدت هذه المواد المبعثرة الساكنة فى صورة نجوم و كواكب ،

إن علم الطبيعة يقدم هذا التوجيه فى خلق هذا الكون و لكن فى الحقيقة إنه توجيه واه ضعيف إلى حد أنه لم ينشرح صدور العلماء أنفسهم لهذا التوجيه ، إن هذا التوجيه يزعم أنه أدرك المحرك الأول و لكنه لا يدرى من الذى حرك هذه المواد أولا و لماذا ؟ إن اسم هذا المحرك عنده « مصادفة » و لكننا نتسائل من أين جاءت هذة المصادفة بين هذه المواد الساكنة و دفعت هذا الكون إلى طريق الخلق والتكوين والتنظيم والتنسيق ، فلم تكن أسباب هذه المصادفة موجودة لا فى داخل هذه المواد و لا فى خارجها إن من التناقض العجيب فى هذا التوجيه أنه يقر بأن كل حركة لا بد أن تسبقها حركة أولى و كل حادث لا بد أن يسبقه حادث يحل محل السبب للحادث الثانى ، و لكن مع ذلك فان هذا التوجيه يبدأ بحادث لا يعرف له سبباً و لا سابقاً ،

و لو سلمنا لحين أن الكرة الأرضية ظهرت فى الوجود بمجرد مصادفة فهل كانت التطورات والأحداث مرغمة على اختيار الجهة التى توجهت إليها ، ألم يكن من الممكن أن يحترم النجوم هل كان واجباً على الحركة الأولى التى أنشأت الكون أن يتحول إلى حركة بناء بدلا من حركة تدمير و خراب ، و تدير دفة الأمور بحكمة بالغة و قدرة عجيبة ؟

و ما كان هذا الشئ الذى جعل النجوم تسبح فى الفراغ الكونى الهائل الذى لا نعلم مداه بهذه الدقة والتنظيم والاستمرار و ما الذى خلق الشمس فى مكان قصى من الكرة الأرضية ؟ و كيف وقعت هذه التحولات الضخمة التى أنشأت الحياة على هذه الأرض ، و كيف انتعشت الحياة فى المادة المتينة فجأة ، إذا كانت هذه الأرض قد ظهرت بعد حادث وقع فى الكون فلا بد أن يكون لنشوء الحياة فيها سبب كما كان لوجوده سبب ، فما كان هذا السبب و ما كان هذا الحادث أو التطور الذى يلزم لنشوء الحياة فيها ؟؟

و بم نعلل هذا الشئ الذى أنشأ فى هذه الكرة الصغيرة كل الأسباب والمؤثرات اللازمة للحركة والنمو والتطور والحياة والحضارة والرقى ، و ما هذا الذى أدام كل هذه الأسباب والمؤثرات فى صالح الانسان ، هل كان من المعقول أن يحدث كل هذه الأشياء على الأرض بهذا التنسيق والانسجام والدقة والاعجاز والثبات والاستمرار بمحض الصدفة ، فقد مضت على الأرض ملايين الملايين من السنين بل أكثر و لم يحدث فيها أى اختلال أو فساد ،

على كل حال فهذا هو تعليل العلماء لظهور هذا الكون ، و تبعه سوال مهم ، وهو من يسير هذا الكون و من يعمل من وراء ستار و من يدير هذا المصنع بحركة منظمة دقيقة مستمرة فكان لا بد أن يكون هناك عامل أو حاكم أو مدير لكل هذه الأعمال والحركات والمظاهر ، هذه المسئلة لا تحل بالتوجيه الأول فهى تتطلب شخصية أخرى لحله محل حاكم هذا الكون والمتصرف فيه ،

وضع العلماء لحل هذه المشكلة فلسفة التعليل (Principle of Causation) و خلاصتها أن الحركة الأولى أوجدت سلسلة من العلة والمعلول ثم تتابعت سائر الأحداث والتطورات على هذا الأساس تماماً مثل ما يفعل الأطفال ، فانهم يقيمون فى العابهم جداراً من اللبن ثم يسحبون لبنة الزاوية من هذا الجدار فتتبع هذه اللبنة اللبنات الأولى و تحدث ضجة تسر الأولاد ، إن كل حادث يقع فى هذا الكون لا يأتى من الخارج بل إنه يكون نتيجة ظروف أولى ظهرت بقوانين الطبيعة غير المتبدلة و لم تكن هذه الظروف قائمة بذاتها بل إنها كانت لاحقة لما سبقتها من الظروف والأحوال والأحداث و إن الخطوة الأولى التى خطاها الكون فى سبيل ظهوره إلى الوجود قد رسمت صورة نهائية للعالم و حددت معالمه التى استقرت فيما بعد ،

إن الايمان بهذا المبدأ كأساس للطبيعة كان أكبر حدث علمى إتسم به القرن السابع عشر ، و هنالك بدأت المحاولات لاثبات العالم ماكينة طبيعية هائلة لا غير ، و بلغت هذه المحاولات

العلمية أوجها فى منتصف القرن التاسع عشر ، كان هذا العصر عصر علماء الطبيعة المهندسين والميكانيكيين الذين كان بودهم أن يحولوا الطبيعة ماكينة و فى ذلك الوقت قال (HELBHOLTZ) إن غايته الأخيرة لجميع الطبيعات الفطرية أن تتحول إلى الميكانيكا ، و لو أن هؤلاء العلماء لم ينالوا نجاحاً فى اثبات جميع المظاهر الكونية حركات آلية ميكانية إلا إنهم كانوا واثقين بأن تفسير الكون و تحليله فى اسلوب ميكانيكى مجرد ليس بمستحيل و ما هى إلا محاولات حتى نفوذ بذلك و يظهر العالم أمامنا كماكينة تدور بحركة آلية مجردة ،

كانت علاقة هذه الأشياء بالحياة الانسانية واضحة جلية إن كل عرض لهذه المبادئ و كل بحث فى هذه الفلسفة كانت تضعف إيمان الانسان بقوته و اختياره و إرادته ، لأنها إن كانت هذه المبادئ مسيطرة على الكون كله فكيف تعيش الحياة الانسانية بمعزل عنها ، فكانت النتيجة أن ظهرت فلسفات أخرى فى القرن السابع عشر والثامن عشر لما اكتشف العلماء أن الخلية الحية مركبة من الذرات الكيميائية مثل المادة المنية ، و هنالك ولد فى أذهانهم سؤال آخر بالطبع و هو أنه كيف يمكن لهذه الأجزاء التى تكونت منها أجسامنا و عقولنا أن تخرج من نطاق هذه الفلسفة ،

فزعموا بحماس شديد أن « الحياة » فاتها ميكانيكية حتى إنهم قالوا إن عقول نيوتن و باخ (BACH) و مائيكل انجلو (MICEL

(ANGELO) لم تكن مختلفة عن ماكينات الطباعة إلا فى التركيب والتعقيد ، فما كانت وظيفتها إلا أن تردد ما يملى عليها المؤثرات الخارجية ،

و لكن العلم الآن لا يعترف بهذا الرأى غير المتزن ، فالنسبية تذكر هذه النظرية بكلمة خداع (ILLUSION) فقد ثبت فى القرن التاسع عشر أن هنا مظاهر متعددة مثل الضوء والجاذبية على وجه الخصوص ما تخفق عندها كل محاولة لتفسيرها الميكانيكى ، كان البحث مستمراً فى ذلك الوقت فى أنه هل يمكن صناعة آلات تردد أفكار نيوتن و عواطف باخ و آراء مائيكل انجلو و لكنهم علموابسرعة أن سقوط الشعاع أو ضوء الشمعة لا يثبت بالآلات ، إن علم الطبيعة قد نادى من قبل بصوت عال أن الطبيعة مرغمة على اختيار الجهة التى قدر لها يوم الحركة الأولى ، و لكنه اضطر فى الأخير أن يعترف بأن ماضى هذا الكون ليس سبب مستقبله إلى هذه الدرجة من اليقين ، أن المعلومات الجديدة والاكتشافات الحديثة جعلت أكثر العلماء يؤمنون بأن بحر العلم الجارف يتجه بنا نحو حقيقة لا ميكانيكية (١)

(و بعد يتبع)

١ - البحث فيما يتعلق بأصول التعليل مأخوذ من كتاب « الكون السرى » لجيمس ،

إلى المرأة المسلمة

بقلم
الأخت الفاضلة الآنسة أمينة قطب
(حلوان) مصر

يتعدد الحديث و يطول فى قضية المرأة و مكانها فى الأنظمة والأديان و يتجدد البحث فيها كلما عرضت مشكلة وكلما تعارضت الآراء والاتجاهات حتى ليبدو فى بعض الأحيان كأن هناك مشكلة ليس لها حل ، أو كأن المرأة المسلمة لم يرد فى أمرها نص و لم يوضع لها نظام و لم تمنح حقوقاً و لا واجبات ، لكأنها تركت مهملة لا تعرف لها طريقاً و لا تتخذ لنفسها مكاناً ، و قبل أن أناقش أو أرد على بعض الدعاوى التى يثيرها من آن لآخر اولئك المفتونون بحضارة المظاهر والشكليات . أريد أن أذكر بعض النصوص والآيات التى توضح مكان المرأة و دورها كانسان مساو للرجل تماماً فى الحقوق والواجبات و فى الجزاء والعقاب و فى الثواب والمغفرة بما لا تتمشى معه تلك الدعاوى الفارغة و لا تلك المشكلات الوهمية التى يتحدث عنها اولئك الذين نصبوا أنفسهم محامين عن المرأة و عن حقوقها المهضومة ،

ولا بد قبل أن أذكر النصوص والآيات أن أتحدث قليلا عن موقف المرأة و مكانها قبل الاسلام سواء فى الشرق أو الغرب أو فى أنحاء العالم كله ، ذلك المكان الذى كان يهبط فى بعض البقاع عن مكان الحيوان ،

فى الجزيرة العربية مثلا كانت المرأة تورث من بين المتاع والأشياء التى يتركها الرجل و لم يكن لها الحق حتى فى اختيار الوريث و لا فى اختيار المكان الذى ستقضى أيامها فيه تماماً كما تساق إحدى الأنعام بعد توزيع الثروة و اقتسام الميراث . . . .

و هذه المعاملة وحدها تعطى صورة المرأة و منزلتها دون أن أذكر غيرها من التفصيلات التى تتعدد و تتنوع حسب نظام كل قبيلة و كل قطاع . . . . . و لست فى حاجة أن أذكر أو أذكر بقصة وأد البنات التى كانت معروفة فى الجاهلية والتى تحدث عنها القرآن الكريم فى أكثر من موضع مستنكراً ساخراً من عقلية القوم و ضحالة إنسانيتهم . .

أما فى الأماكن الأخرى من العالم فقد كانت إلى عهد قريب تدفن حية بعد وفاة زوجها ، فهى تستمد حياتها و وجودها منه حيث لا كيان لها و لا روح ، و ما دام هو قد قضى فيجب أن تلحق به سواء كان قد بقى من عمرها قليل أو كثير سواء كانت شابة أو عجوزاً فما ينبغى للظل أن يبقى بعد زوال الأصل . . . .

و فى مكان آخر من العالم كانت تعقد المؤتمرات من الرجال لتبحث فى أمرها أ هى إنسان كالرجل أم حيوان فى صورة

الانسان أم أنها شئ بين هذا و ذاك و هل لها نصيب من المشاعر والأحاسيس أم أنها صماء النفس والقلب بحكم تكوينها و خلقتها ،

و بحكم هذه النظرة كانت المرأة فى الصين — حتى عهد قريب — تعامل كشئ من الأشياء التى تشكل حسب إرادة الرجل مثل وضع قدمى الطفلة فى قالب حديدى حتى لا تكبر و لا تنمو مع بقية أعضاء جسمها لأن الرجل يريدها صغيرة القدم . . .

هذه كانت معاملة المرأة والنظرة إليها فى الشرق والغرب . سائمة أو شئ أو مخلوق لا يعرف له نوع أو يحدد له كيان ثم بزغ النور من ذلك المكان القصى وسط الصحراء القاحلة الجرداء فاذا بذلك المخلوق المهمل الضائع المستذل إنساناً كاملا حياً له حقوق الانسان و عليه واجباته فهى قرينة للرجل بحكم هذا القول الكريم « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر »

بهذه الكلمات القليلة تتحدد سمات هذا المخلوق و تبرز و يصبح له الحق فى أن يحيا كما يحيا الرجل يمارس الحقوق والواجبات فيرث و يورث و يكتسب « للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن » ثم تكتمل الصورة فى هذه الذروة العليا من الانسانية فاذا هى شريكة فى الجهاد متساوية فيه متساوية مع الرجل فى الجزاء والثواب والمغفرة « فاستجاب لهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا و أخرجوا من ديارهم و أوذوا فى سبيلى و قاتلوا و قتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم

و لأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » و هكذا تمضى الآيات التى تبين من خلالها المساواة الكاملة بين الجنسين سواء فى الهدى أو الضلال لا تفريق بينهما و لا فرق ، لا غبن و لا محاباة ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره »

و لكن هناك اختلاف فى الطبائع لا بد أن يتبعه اختلاف فى الوظائف والمهمات و هنا تبدأ القضية المزعومة و يبدأ العويل والصراخ . . . . لماذا تحرم المرأة من بعض المهام التى يمارسها الرجل ؟ إنه الغبن والحقوق المهضومة والتفضيل الذى لا مبرر له ، إنها تعطى مهمة حقيرة هى تربية الأولاد والعناية بالبيت فى الداخل بينما يتولى الرجل كل وظائف الخارج . . . .

و لقد تحرر « المتحضرون » فأخرجوا المرأة من هذا السجن و أعطوها الحرية والمساواة فتركوها تكد و تكدح مثل الرجل و تنال حقها فى العمل و لا تحصر نفسها فى ذلك النطاق الضيق نطاق الأسرة و إنشاء الأبناء و هكذا تنتكس العقول و ترتد الأفكار و تتخلف فى ذلك الحيز الضيق من الفهم و انحسار الأفق ، هكذا يرى المفتونون بحضارة الشكليات أن بناء النفوس والعقول و تكوين جهاز إنسانى صالح لا يساوى الوقوف أمام آلة من الآلات أو الجلوس على مكتب أو إدارة جهاز من الأجهزة . . . . أ هو عمل حقير و مهمة ضيقة أن يتولى إنسان ، ما الاشراف على ذلك الجهاز النفسى الدقيق و إدارته فى الصورة التى يريدها و يرسمها و يضع تصميماتها فى شتى الاتجاهات و فى كل الأطوار ، أى صورة للتقدير والعطاء من

الخالق أكبر من أن يضع بين يدى المرأة تلك الأمانة الضخمة أمانة الانشاء والتكوين و يجعلها قادرة على صياغة تلك النفوس الغضة و تكوينها فى الصورة التى يريد ؟ يكل إليها تنمية ضمير الفرد منذ حداثته و صياغة أحاسيسه و انفعالاته و وضعها داخل النطاق الذى حدده وارتضاه له فاذا بذلك المخلوق فى النهاية إنسان سوى له ضوابط يحاسب نفسه حين تخطئ و يعنفها حين تهبط و يقربها من الله حين تبتعد عنه وراء ثروة طارئة أو نزعة من نزعات الشيطان ، هل يدع الله هذه المهمة بين يدى مخلوق ناقص الأهلية والأهمية ؟ إن العقل السليم يقتضى التسلم والاقرار بأن تلك المهمة الكبرى لا بد أن توضع فى يد قادرة و يوكل بها إلى شخص معد إعداداً خاصاً ،

و إذن فهنا إعداد خاص لكل من الرجل والمرأة حسب وظيفة كل منهما بلا تفضيل و لا محاباة بل قسمة عادلة من لدن حكيم خبير بطبائع البشر و خلجاتهم ، فما بال المرأة تتنكر لوظيفتها الكبرى هذا التنكر الشائن و تحاول أن تستبدل بها وظيفة الرجل ظناً منها أنها إنا تتساوى مع الرجل بهذا الجهل لدورها الأساسى ؟ . . إنها بهذه المحاولة المبنية على غير أساس سليم تقود نفسها إلى الشقاء والاضطراب فهى لن تستطيع التخلى نهائياً عن وظيفتها الأولى لتتفرغ للثانية فتكن النتيجة هى تولى الوظيفتين والتوزع بينهما توزعاً مضنياً مهلكا لقواها و حيويتها مخرباً لتكوينها النفسى والجسمى إنها تضع على نفسها عبئاً جديداً جنبها الله إياه إلا فى حالات الضرورة التى تستوجب مضاعفة الجهد

والهناء إنها لتثبت بهذه المحاولة و هذا التحدى أن الرجل أسلم منها تفكيراً و عقلا فهو لم يحاول يوماً أن يدع وظيفته و يتولى وظيفتها أو يضم الاثنين معاً كما تحاول هى و تبذل الجهود ،

إننى أهتف بالمرأة المسلمة أن تدع الأبواق الفارغة التافهة التى تريد أن تفسدها على نفسها و على حياتها و دينها و تصورها فى تلك الصورة المزرية من النقص والهوان والتخلف حين تقوم بوظيفتها الأولى و تتفرغ لها أن المساواة لا تتحقق أبداً بالعمل والتحدى على حقوق الغير و وظائفه إذا لم تكن قد منحت و تحققت فى الأساس الانسانى النفسى والفكرى ، لكاننا نصر بهذه المحاولات و تلك الدعاوى الفارغة على أن المرأة ما زالت كما كانت من قبل بزوغ النور العظيم شيئاً ناقصاً لا قيمة له و لا كيان ، لقد جنبها الله هذا الهوان و ساواها فى الحقوق والواجبات و فى الجزاء والعقاب و فى كل صغيرة و كبيرة فى الدنيا والآخرة و هذه هى المساواة الحقيقية التى لا تخضع للظاهر والشكليات .. ثم جعل من نصيبها مهمة التكوين والانشاء فى الداخل .. و أعطى الرجل مهمة الكدح والعمل فى الخارج .. تقسيم رائع متناسق لا خلط فيه و لا اضطراب .....

إنى أهيب بالمرأة المسلمة أن تعود إلى ذلك الدستور الالهى « القرآن » الذى منحها المساواة الحقيقية و حرر روحها من الذل و نفسها من الهوان و حفظ كيانها من التبذل والهبوط إلى مكانة الحيوان ،

إنى أدعوها أن تبحث عن ذاتها و كيانها فى ذلك الكتاب الكريم و تتحقق من صورتها التى كرمها الله فى كثير من المواضع حين أوصى إليها أن تؤدى دورها فى البناء و رفع البشرية من ظلام الأرض إلى أنوار السماء ،

لتدع تلك الأبواق التافهة والأقلام المتحللة التى تريد أن تفقدها ذلك المستوى الرفيع الذى وضعها الله فيه و تهبط بها إلى شقاء النفس واضطراب الروح و حدود الحيوان ، إنها تدعوها إلى التبذل الرخيص من وراء تلك الكلمات البراقة والدعاوى الرنانة دعاوى الحرية والمساواة فلتحذر و لتتنبه ثم لتدرس و تفكر و لا تخدعها المظاهر و لا يضلها البريق الذى يحجب الحقيقة البائسة التى صارت إليه المرأة « المتحضرة » التى قطعت ذلك الطريق مضللة أو مجبرة فلم تجد فى النهاية غير البؤس والشقاء و عدم الاستقرار ،

إنى أشفق على المرأة المسلمة من قطع الطريق إلى النهاية و مواجهة المصير التعس الذى لن تجد فيه غير عبودية الروح و امتهان الكرامة و ارهاق النفس و توزع القلب والمشاعر ،

إنى أهيب بها أن تعود ، و لا تقطع الرحلة الشاقة و هى مغمضة العينين مضللة القلب مأخوذة بالبريق الزائف الذى يخفى وراءه التعاسة والشقاء والأوحال فالعودة الآن قد تكون أقل خسارة و أكثر توفيقاً مما لو سارت فى الطريق حتى نهايته فان الخسارة يومها لم تكون قادحة و ستكون الضحايا كثيرة و ستكون الخطوات

عسيرة و شاقة . . . . .

لتعد إلى دينها العظيم الذى كفل لها الحرية والمساواة الحقيقية و صان روحها و خلقها و وضع لها أساس السعادة والاستقرار فى الحياة .

القاديانى والقاديانية

دراسة تحليلية بليغة لشخصية الميرزا غلام أحمد القاديانى و ديانته التى لا تزال ثورة على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و حرباً على الاسلام منذ بداية القرن الحاضر ، قام بهذه الدراسة و قدمها الداعية الغيور والعالم الجليل الأستاذ أبوالحسن على الحسنى الندوى فى لغة عربية فصحى و أسلوب قوى سهل ،

و يطلب من إدارة البعث الاسلامى

ثمنه ٣ روبيات

أول من عرف الاسلام إلى أهل الهند

بقلم

الدكتور محمد أحمد الصديقى

استاذ اللغة العربية والفارسية بجامعة اله آباد

لا يخفى على من له المام بالتاريخ أن عرب الجاهلية كانوا يأتون سواحل الهند و جزائرها منذ سنوات كثيرة قبل الإسلام و يتاجرون أهلها ، و قد ذكر فى التاريخ أن نبى الله داؤد و نبى الله سليمان عليهما السلام عرفا كير له و جلبوا أشياء كثيرة من منتجاتها و بهذا ظهر أن أمرها كان معروفاً قبل أن يعرفها العرب على ساحل البحر العربى ، و فى غازيتر بومبائى أن بعض العرب قبل الاسلام أقاموا بجول و كليان و سيارة و فى زمن اغرترسائد كان العرب على شط مالابار إلى مبلغ أن أهلها قد تأثروا بهم و تدينوا بدينهم ،

قال الدكتور تارا شند العميد السابق بجامعة اله آباد إن عامة سبيل العرب إلى الصين كانت من الموانى الغربية أو خليج فارس و من هذه الطرق كانوا يتجرون مع أهل الهند و كذلك كان أهل الهند والصين يرتحلون إلى العرب فى القرن الخامس

والسادس قال الطبرى إن سفينة هندية دخلت دجلةو جاءت « أيله » التى تقع بين مجمع الفرات و دجلة قريب البصرة و لأجل تلك التجارة كانت العلاقات الودية بين العرب والهند قائمة من القديم و لم تكن هذه العلاقات قاصرة على الصلات التجارية بل نمت إلى العلاقات العلمية أيضاً و صارت اللغة العربية مستعملة فى الهند من القرن السابع قبل المسيح و ليس أدل على ذلك مما ذكره بندت سوامى دياتند (البندت للوثنيين كالآباء للمسيحيين) إن كورو لما أرادوا أن يحرقوا باندونى زمن الملحمة الكبيرة (مها بهارت) التى وقعت بينهما فانما كشف دورجى عن هذا السر فى اللغة العربية و أجابه بدهشتر أيضاً كذلك فيها (سيتارتهم بركاش ذكر مها بهارت) و لا ريب فى أن أهل الهند لم يكونوا عارفين بالكتابة قبل القرن الثامن من المسيح فتعلموها من العرب و لذلك وجدت كتبات الدولة المورية والدولة الأندهرادية فى الحروف العربية (الاسلام الكامل) و كذلك وجدت كتبات أشوك ملك الهند الشهير مرسومة من الجهة اليمنى على الطريق العربى و يقال لها آثرن بالى ، أما حين جاء الاسلام استمرت تلك العلاقات التجارية والعلمية بل إزدادت استحكاماً و قوة و كما أن الهند استهوت كثيرين من رحالى العرب و تجارهم فكذلك اجتذبت بلاد العرب إليها لا سيما فى الدولة العباسية كثيرين من علماء الهند و أطبائها و منجميها كما هو معروف و لا حاجة إلى الاطالة و لذا أجمع عامة أهل التاريخ على أن أول من دعا أهل الهند إلى الاسلام هم التجار العرب المسلمون الذين

أقاموا بالسواحل الجنوبية حتى أسلم كثير من هذه النواحى قال آرنلد فى كتابه « الدعوة إلى الاسلام » أن الاسلام قد جاء الهند الجنوبية فى القرن الثامن و أيده تائيتس فى كتابه « البحث عن الاسلام » و ما يدل على أنهم جاءوا فى ذلك القرن هو وجود قبر قديم مكتوب عليه على بن عبدالرحمن المتوفى ١٦٦ هـ و لكن قال « رولينسدس » أن المسلمين من العرب أقاموا بسيلان و ساحل مالابار فى القرن السابع و يؤيده فرانسى وى و كذلك استرك ،

و لا ريب فى أن المسلمين يوجدون فى الهند من أوائل القرن الأول الهجرى و أواسطها سرح النظر إلى راجه سرنديب فانه أسلم فى ٤٠ هـ (تاريخ فرشته) ثم ارجع البصر إلى راجه مالابار و هو كذلك و جاء محمد العلافى فاراً من الحجاج فى خمس مائة فارس و نزل على ساحل السند باذن راجه داهير ثم صار من خواصه بعد أن أعانه على راجه رنمل (ايليث جج نامه ، تاريخ السند لأبى ظفر الندوى) و فر بعض بنى هاشم من العراق و نزلوا بمالابار بعضهم أقاموا براس كمارى كمورت و قيل لأولادهم « لبى » و بعضهم حلوا بكونكن و سمى أولادهم « بنوايت » و أخرج « كالدول » بعض النقود الاسلامية المدفونة المنقوش عليها ٧١ هـ فى مالابار و أرسل راجه سرنديب إلى والى العراق سفينة مشحونة بالهدايا و بعض النساء والبنات للتجار المسلمين المترفين بها ، و كانت السواحل العربية كلها من كيمبى إلى قلات مملوءة من مستعمرات المسلمين فى القرن الأول و وصل « نيرين » فى معرفة الآثار القديمة

لمسلمى كوكن إلى أن مسلمى هذه الناحية إنما هم من أولاد العرب و لم تكن لنكاتزم إلا من نتائج تاثيراتهم لأن الله فى هذا المذهب واحد و هو فى كل مكان ، والقومية ليست بشئ فوجود كلمة الله التى هى عربية الأصل يبين أنها ماخوذة من العرب المسلمين و بعد زمن قليل صار العرب المسلمون من أخلاء راجوات الهند و كان ملوك راشترا كوتا أكثر مودة لهم و كان هؤلاء الملوك حريصين على مودة العرب و كذلك كان راجاءات كاليكوت و كورو مندل قال بن بطوطة إن ملوك الهندوس كانوا يحبون العرب حباً جماً لأن قسطاً كبيراً من ثروتهم كان يتوقف على تجارتهم مع العرب و قال أيضاً إن تجار العرب كانوا يعيشون فى أرغد عيش فى خمايات و أيده صاحب تحفة المجاهدين بقوله إن ملوك الهندوس كانوا يعاملون المسلمين برفق و تسامح واعتقدت رعايا راجه بلهرا أن أعمار راجواتهم لا تطول إلا لحبهم إياهم وكان راجه زمورن أوجب لكل أهل بيت من الملاحين فى أرجاء دولته أن ينشؤوا واحداً من أبنائهم على نشأة المسلمين حتى كان راجواتها يقررون رجلا من العرب المسلمين لأن يقضى بينهم و يقال لهم « هنرمن »

فتبين أن المسلمين أقاموا بالبقاع الهندية فى أوائل القرن الأول من الهجرة و أواسطها فالآن جدير بنا فى هذا المقام أن نبحث عن أول من عرف أهل الهند الاسلام .

قال صاحب تاريخ فرشته إن أول الجزائر التى أضاءها الاسلام بضيائه « سرنديب » و راجتها أول من انقاد له بالهند فى عهد الصحابة

٤٠ ﻫ و يؤيده ما قال السياح المسلم ابن شهر يار الفارسى فى كتابه « عجائب الهند » إن أول جزيرة من جزائر الهند إنبثق فيها الاسلام « سرنديب » و لما علم أهلها بعثة الرسول عليه السلام أرسلوا رجلا منهم إلى العرب ليحقق أمره فلما وصل إلى العرب كان عهد عمر رضى الله عنه فاستعلم منه أحواله فبين له عمر مفصلا فلما رجع مات فى الطريق و وصل خادمه إليهم فاعلمهم بأحواله و أحوال أبى بكر و عمر رضى الله عنهما و لأجل ذلك يحب أهلها المسلمين و يميلون إليهم ،

ثم انبعثت أشعة الاسلام فى مالابار بعد ما كانت منيرة فى سرنديب و قص صاحب تاريخ فرشته إسلام حاكم مالابار أن هذه النواحى كانت مراكز للتجار المختلفة الأديان إذ مرت بها الجماعة المسلمة السائرة إلى سرنديب لزيارة أثر قدم آدم عليه السلام بعد القرنين من الهجرة و نزلوا كرنقانور فلقيهم حاكم البلد السامرى و قال إن اليهود والنصارى الملقيين فى بلادى حدثونى عن دينكم و لكن ما علمت به من أحد منكم بعد فأخبرونى بأخبار رسولكم فبين رجل منهم زكى الدين كما قال الدكتور تاراشند المؤرخ الهندى أو شرف بن مالك حسبما قال آرنولد معجزة شق القمر فصدقه أهل ديوانه فأسلم السامرى و سموه عبدالرحمن السامرى و يروى الدكتور تاراشند مثل هذه الرواية لكن قال إن تلك المعجزة رآها راجه فى منامه و أولئك المسلمون عبروا رؤياه فأسلم ،

و حكا مؤلف تاريخ فرشته حكاية أخرى هى أن

الاسلام ظهر أولا فى مالابار لا فى سرنديب قائلا إنها أصبح من الرواية الأولى عنـــده و هى أن السامرى حاكم مالابار شاهد بنفسه فى زمانه عليه السلام الشقاق القمر فى أرضه فأرسل رسلا إلى أماكن شتى لتحقيق الأمر فأخبر بأن رجلا من العرب يسمى محمداً ادعى النبوة فشق القمر لكى يرى قومه بعض معجزاته فهو ذاك فالسامرى ركب البحر وارتحل إلى الحجاز و أتى حضرته بمكة و تشرف بالاسلام و أقام مدة أيام ثم عاد إلى وطنه فى جماعة من المسلمين فلما بلغ بلد ظفار مات فيه و دفن و المسلمون الذين كانوا برفقته منهم شرف بن مالك و مالك بن حبيب و مالك بن دينار أوصاهم قبل موته بأن يسيروا إلى مالابار و ينشروا الاسلام فيها و اسر إليهم أن لا ينعوهم بموته و كتب إلى حاكم مالابار أن يكرمهم و يعاونهم من كل جهة فلما أتاه هؤلاء المسلمون دفعه إليه خطابه فلما عرف حظه ابتهج غاية الابتهاج و سألهم عن السامرى فأجابوا بأنا إذا ركبنا سفينة من ميناء الشجر رأيناه فلما علم بأنا نسافر إلى مالابار كتب هذا الكتاب و قال لنا ادفعوه إلى حاكم مالابار و لا ندرى خبره أكثر من هذا فلما رأى الكتاب رق و أخذته الرأفة والرحمة و نشر الاسلام فى بلاده و بنى المسجد فى كرنقانور أولا فى كولم ثم فى باجنور و منجلور و كانجركوت و ظل المسلمون يتعززون و يتكرمون ،

و قيل إن رفقة السامرى كانوا خمسة عشر شخصاً و خمس نسوة من بينهم حبيب بن مالك و عبدالرحمن مالك و محمد بن مالك و

على و حسين بن مالك و تقى الدين مالك و إبراهيم و موسى و عمر و حسن بن مالك أيضاً و فاطمة و عائشة و زينب و قرية و حليمة و عند وصولهم قاموا بالدعوة و تبليغ الاسلام فبنوا عدداً من المساجد الباقية شهرتها إلى الآن فى كدغلور و كلم و جايم و بندلاين و وريدم و شرى كنورم و أبى ل و كالەكوت و مينكلور و و باكتور ، و قد لقى أصحاب مالك حفاوة و ترحيباً و أقبل الناس على الاسلام من كل مكان بعد أن رأوا سيرتهم ،

و يؤيد هذه الرواية ما قال فى كتابه « البحث عن الاسلام » عن أن زين الدين مؤرخ مالابار قال إن شيرو مل منيرومل آخر ملوك شيرا أول من آمن فى مالابار فى زمنه عليه السلام و ما قال آرنولد من أن عامة أهل مالابار يعتقدون أن هذه الواقعة إنما وقعت فى عهده عليه السلام و ما قال الدكتور تاراشند إن أهل مالابار يحتفلون بذكرى ذلك الراجة إلى اليوم و حين يتوج زمورن يلبسونه ألبسة المسلمين و لا يتوجه إلا أحد مسلمى موبلا و يعتقد بهذا التائج أنه ينوب مناب ذلك الراجة و هذا التائج أيضاً كأنه ينتظر رجوع راجه شيرومل من العرب و يقول راجه تراونكور حين يتوج و يأخذ السيف بيده إن هذا عنده إلى حين يرجع عمه من جزيرة العرب ، و ذكر بعض المؤرخين أنه وجد محفوراً على حجر فى مسجد — يقع بقرب بيتور فى كيرله — إن الاسلام ظهر فيها فى السنة الخامسة من الهجرة و يعللون سبب ظهوره إلى وصول بعض العرب مبكرين إلى ديار الملبار ،

و جملة الكلام أن الرواية الأخيرة التاريخية فى إسلام حاكم مالابار فى عهده عليه السلام أقرب إلى القياس والتلقى بالقبول فى بادئ الرأى لأن كافة أهل مالابار إنما يحكون هذه الحكاية و يقويها ما قال تائيتس فى كتابه « البحث عن الاسلام » و ما ذكره آرنولد فى « الدعوة إلى الاسلام » فالأكثرون اتفقوا على صحتها و إن أوردوها فى كتبهم بعناوين شتى فمن حيث المجموع يعلم بأنها أقرب إلى الصحة فاذا تحققت هذه الحكاية التاريخية تحقق أن راجه مالابار هو أول من آمن فى الهند فى زمنه عليه السلام و أنه أول من نور أرض الهند بنور الاسلام بتلك المعجزة ثم الأشخاص الذين بعثهم إلى راجه مالابار لتبليغ الاسلام ليسوا العرب التجار، و أنكر العلامة السيد سليمان الندوى هذه القصة بأنها وقعت فى عهد النبى عليه السلام و إنى أرى مع كل ما ذكرت فى وقوعها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أن الحق مع هذا المؤرخ الفاضل لأن الزمن الذى أقام النبى صلى الله عليه وسلم فيه بمكة أتاه كل من جاءه من بلاد أخرى منقاداً للاسلام و له ذكر واضح فى القرآن كما قال الله تعالى « و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول الخ » فى سبعة رجال وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم من قوم النجاشى من الحبشة أو ذكر فى الأحاديث كسلمان الفارسى فلو أتاه راجه مالابار هذا للبيعة على يده لذكره الصحابة البتة لأن القصة أعظم شأناً من حيث إن ارتحال هذا الرجل الجليل من الهند خاضعاً للاسلام من أفخم الأمور و أهم الأخبار لأن أهل الهند والصين كانوا يعتقدون أن أعظم

الملوك فى الدنيا أربعة أولهم ملك العرب و ثانيهم مغفور الصين و ثالثهم قيصر الروم و رابعهم ملك الهند ،

و أما التجار العرب المسلمون الذين يقال لهم إنهم أول مبلغى الاسلام إلى الهند فليت شعرى فى أية سنة جاؤا الهند ؟ و ما وجدت دائرة المعارف الاسلامية وحدها ساكتة عن هذا الأمر بل التواريخ بتمامها تعجز عن بيانه فهل جاءوا قبل خلافة عمر ؟ فكلا ! لأن الصحابة ما خرجوا من مكة فى عهده عليه السلام إلا إلى الحبشة ثم إلى المدينة أو إلى بعض الملوك بأمر رسول الله كما هو مذكور فى الأحاديث و ما أمكنهم الخروج من تجارة العرب لأجل محاربة قريش و معاندة القبائل الأخرى والاشتغال بالغزوات إلى غير ذلك و أما فى عهد أبى بكر فكذلك لانبعاث فتنة الارتداد والغزوات الأخرى و أما فى خلافة عمر فأول من أتى الهند فهو الجيش الثقفى (فتوح البلدان للبلاذرى) أرسله عثمان بن أبى العاص الثقفى أحد ولاة عمر فى ١٥ ﻫ تحت قيادة أخيه حكم بن أبى العاص وكان حكم من كبار الصحابة (أسد الغابة) فظفر و أصاب مغانم كثيرة و هذا أول ما طلعت شمس الاسلام و أشرقت على أرض الهند فاعتنق كثير منهم الاسلام و من هنا استنارت بأشعتها التى أفاضت على أهلها حياة جديدة طيبة باقية إلى الآن ثم أرسل الجيش الآخر إلى بردص دهى ميناء گجرات والى أيبل تحت قيادة أخيه مغيرة بن العاص كذلك قال آرنولد ، تائيتس ، روليندس و غيرهم أن أول السفن الحربية جاءت الهند فى عهد عمر ٦٣٤ م

و رست على شاطئ تانه و بلغت العرب المسلمون إلى بردص دويبل و قال عبدالقيوم الندوى فى كتابه « الاسلام الكامل » أخذاً عن صحيفة گجرات إن كثيراً من أهالى الهند رسموا فى تانة بوسيلة حكم بن العاص و أصحابه ،

و لا ريب أن أهل السند الجيش العربى الاسلامى ما حاربوا قوماً إلا بعد أن دعوهم إلى الاسلام أو بعد أن امتنعوا من دفع الجزية و لهذا بقى الأصنام للوثنيين والكنائس والبيع والصوامع لغيرهم و يشهد عليه آرنولد و كارلائل و تارا شند المؤرخ الهندى ما عدا المؤرخين المسلمين فظهر أن أول دعاة الاسلام فى الهند حكم بن العاص الثقفى ثم مغيرة بن أبى العاص الثقفى و من معهما لا التجار العرب كما زعموا و لعلهم أرادوا بقولهم إن التجار العرب المسلمين أول مبلغى الاسلام فى الهند انتشاره و ارتقاؤه و فى الواقع أنهم كانوا من دعاة الاسلام من هذه الناحية لأنهم مهدوا السبيل بنوع خاص إلى قلوب الأهالى بتعلم لغتهم وانتحال أخلاقهم و جعلوا ينشرون برفق و تدرج معارف دينهم بأن بدأوا يحولون إلى الاسلام نساء البلاد اللائى تزوجوا بهن والرجال الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية و لم يعتزلوا الأهالى فى أنفة و كبرياء بل امتزجوا شيئاً فشيئاً فى عامة الشعب و قاموا بأعمال التحويل إلى الاسلام بكل ما يتميزون به من تفوق فى العقلية والحضارة فانتشر الاسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة و شخصيتهم القوية .

ثم بعد ذلك كثرت الغزوات ، فغزا مكران ربيع بن زياد الذى أرسله موسى الأشعرى رضى الله عنه و فى زمان ولايته أسلم قوم من الهنود يقال لهم « زط » حسبما أشار عليه عمر فى ١٧ ﻫ حتى استوطنوا بلاد العرب و جعلهم على رضى الله عنه فى عهد خلافته حرسة خزانة بصرة يوم الجمل واستعمرهم معاوية فى شواطئ سوريا واتخذهم عضداً فى مقاومة الروم والدفاع عن بلاده و أسكنهم وليد بن عبدالملك أنطاكية و قال عبدالله بن مسعود و هو بالكوفة إنه رأى قوما كأنهم « زط » ثم جاء الثعلبى فى ٢٣ ﻫ فأعان راجة السند راجة مكران على المسلمين فهزم الثعلبى كليهما ثم جاء عبدالرحمن بن سمرة الصحابى الأماكن بين زرنج و كش فى أيام عثمان رضى الله عنه ففتحها و قصته مع صنم « زور » على جبل زور معروف لا حاجة إلى بيانها ثم جاء بعده حارث بن مرة ثغرة الهند أعنى قيقان فى سنة ٣٩ م فى عهد على رضى الله عنه و ذكر ايليت ثاغر بن دعورا مكان حارث بن مرة و كبر جيش ثاغر معاً بأصوات عالية ارتجف القيقانيون فبعض منهم هربوا و بعضهم آمنوا ، و قال كرنل تادان السند فتحت فى زمن على رضى الله عنه لكن العسكر العربى حين أخبر بشهادته تركها تو جاء عبدالله بن سوار العبدى فى عهد معاوية ٤٣ ﻫ و قال صاحب تاريخ فرشته إن أول من أتى ثغر الهند من عمر خيبر فى ٤٤ ﻫ هو المهلب بن أبى صفرة فأسلم كثير من أهل الهند و قال أبو ظفر الندوى فى كتابه تاريخ السند إن أول من نزل

من ثمر خيبر و غزا أهل الهند حسب الخريطة الحاضرة هو المهلب ،

و فى ٩٢ جاء محمد بن قاسم و أغار على السند و فتحها فلحق به كثير من حكام راجه داهر و كلما فتح محمد بلداً لم يغلظ على أهلها و لم يجبر على الاسلام أحداً بل نشر فيها النقباء ليدعو الناس إلى الاسلام بالموعظة الحسنة و نادى بأعلى صوته من شاء فليؤمن و من شاء فليستمسك بعروة دينه و عليه الجزية فمنهم من عكف على دينه فخرج الناس من كل حدب ينسلون و يدخلون فى الاسلام كماء متدفق و لا ريب إنه ما انتشر الاسلام فى الهند هذا الانتشار إلا فى زمن محمد هذا فكأنه من أول دعاة الاسلام فى الهند من هذه الناحية فظهر أن هؤلاء الأولين السابقين الذين عرفوا الاسلام إلى أهل الهند و قد حل الاسلام فى زمنهم رحمة ببلاد الهند و تألق نجمه فى سمائها ،

اللغة العربية فى خطر

لفضيلة الأستاذ الأديب أحمد عبدالغفور عطار

مكة المكرمة

واجهت اللغة العربية أخطاراً كبيرة شديدة لم تستطع أن تقوض من بنيانها المكين ، و كانت هذه الأخطار تأتيها من أعدائها الذين يتربصون بالاسلام الدوائر فهم يريدون تحطيم اللغة العربية لأنها لغة القرآن و متى تحطمت ذهبت ريح هذا الدين ،

و هؤلاء الأعداء ليسوا عرباً بالجنس أو اللغة و ليسوا مسلمين لأن المسلمين من غير العرب كانوا أشد حرصاً على لغة القرآن ، عن العرب أنفسهم و أكثر منهم غيرة عليها لأنها لغة العقيدة و لغة العبادة التى تصلهم بالسماء فهم حريصون عليها أكثر من حرصهم على لغتهم القومية الأصلية ،

و دفعت الغيرة هؤلاء المسلمين من غير العرب إلى أن يخافوا على اللغة العربية من جور الأعجمية لغتهم أنفسهم ، فنهضوا لجمعها و تصنيف معجماتها و نفى ما ليس منها و صونها بالقواعد التى تحفظها من السواد والدخيل ،

و تلقاء هذه الغيرة من المسلمين غير العرب واجهت العربية أخطاراً شديدة من الاستعمار الذى أدرك أن العربية لغة قوية كل القوة لأنها لغة الدين الذى اتسع للعالم كله بجميع أجناسه و لغاته و ألوانه ، ولغة القرآن الذى جعل الانسانية كلها أسرة واحدة ،

أدرك الاستعمار الغربى قوة هذه اللغة ، و عرف أن فى إضعافها إضعاف المسلمين جميعاً — فبذل جهوده حتى أثخنها جراحاً واستنزف دمها رجاء أن يسلمها إلى الهزال إذا لم يوفق للقضاء عليها ،

واتخذ الغرب لنفسه صنائع من المسلمين ممن يدعون العروبة و يتخذونها لغة آدابهم و علومهم و أداة تعبيرهم و أطلقهم فى العالم العربى ينادون بالقوميات البائدة كالفرعونية والأشورية والبابلية و يدعون إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والمعرفة ،

أرادوا بالنداء إلى القوميات البائدة أن يقضوا على العروبة و باتخاذ العامية أن يباعدوا بين المسلمين و قرآنهم ليسعهم الفتك بالدين ، و لكن الله حافظ دينه و حامى حماته فعصم اللغة من حيف العامية و صان الدين من كيد البغاة ،

و كأن شر الاستعمار الغربى على اللغة العربية ليس بالشر المستطير لأن كثيراً من علماء الغرب دافعوا عن لغة العرب دفاعاً مجيداً و لأن عداء المسلمين والعرب للغرب جعلهم يتوجسون منهم خيفة فلا يقبلون ما يصدر منه مما يتصل بالعقيدة أو اللسان ،

و نهض الغير من علماء العربية و أدبائها يذودون عن حمى الفصحى و يردون حملات دعاة العامية مثل سلامة موسى الذى أفنى حياته فى الدعوة إلى العامية ،

و ما أظن داعية لمذهب من المذاهب أو رأياً من الآراء تولى هو نفسه هدم مذهبه والرد على رأيه مثل الأستاذ سلامة موسى الذى دعى إلى العامية أكثر من نصف قرن فى حين أنه لم يكتب هو نفسه مقالة واحدة باللغة العامية ،

إننى استدل من هذا أن الأستاذ سلامة موسى ما كان مؤمناً بفكرته بل كان يدعو إلى ما دعا إليه إرضاء لنزعات من كانوا يدفعونه ، و إلا لو كان مؤمناً — بعض الايمان — بفكرته لاعتنقها و كتب باللغة العامية ،

و حسب هذا الرأى فسولة أن أحد أقطابه الكبار لم يتخذه وسيلة بغيره لا كتاباً و لا خطاباً ، فقد سمعت سلاسة موسى مرتجلا خطاباً فى جمعية الشبان المسيحيين سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٦ م و كان يلقيه بالفصحى ، أما مقالاته و كتبه فقد اطلع عليها القراء ، و هى تكفى للدلالة على أن سلامة موسى نفسه الذى كان أشد الدعاة إلى العامية بروزاً و لمعاناً و قوة و تمكيناً لم يجعلها لغة خطبه أو مقالاته لأن العامية لا تصلح أن تكون لغة أدب و علم ،

وانتهى الاستعمار الغربى أو كاد من أكثر أجزاء العالم العربى فانحسر معه شره الذى كان يهدد سلامة اللغة العربية و حل

محله ما هو شر منه — ملاين المرات — ذلك هو غول الشيوعية الذى يتهم المبادئ والقيم الانسانية العليا والأديان والامتياز الخلقى والمادى وكل امتياز يرجح إنساناً على إنسان رجحاناً صحيحاً ،

جاءت الشيوعية بنغمة جديدة هى « الديمقراطية الشعبية » و غفل عملاؤها واتباعها المسخرون فى الشرق العربى أن الديمقراطية فى أصولها اللغويه و فى معانيها الاصطلاحية تتصل بالشعب كل الاتصال ، و إلا فلا ديمقراطية مطلقاً ،

و نترك هذا لنرى دعوة الشيوعية أو نزوتها فهى تدعو إلى تبسيط العلم و تنزيل الشمس من السماء إلى الأرض ، حتى ينعم الناس جميعاً بالعلم لا يحرمه أحد ،

و إلى هنا تمشى الدعوة فى طريق الانسانية أو تتفق مع الدعوات الانسانية إلى الاصلاح والخير ثم تختلف فى الأداة إذ تدعو الشيوعية إلى اتخاذ لغة الشعب للآداب والعلوم والفنون ،

تقول : لغة الشعوب : تضليلا و إلباساً للباطل تعرب الحق حتى تجد الشيوعية السبيل لنجاح دعوتها ، لأنها لو ظهرت على حقيقتها للعنها كل من كان فيه مسكة من عقل أو ذرة من ذوق أو صحة فى الغريزة ،

لهذا قالت : لغة الشعب ، ولم تقل اللغة العامية ،

و أنا أسأل دعاة هذا المذهب الهدام أدعياء العروبة هل العامية وحدها لغة الشعب ؟ أليست الفصحى لغة الشعب أيضاً ،

إن كل لغة من لغات الأرض يتخاطب أصحابها بالعامية و يكتبون بالفصحى ، والعرب كذلك لهم لغة عامية و لغة فصيحة و إيثار العامية على الفصحى جريمة يجب أن يعاقب صاحبها ،

و ليست الفصحى لغة الرأسماليين الذين تهاجمهم الشيوعية و تحاربهم بل لغة غير الرأسماليين و غير الاقطاعيين ، فلماذا تحاربها أو يحاربها دعاتها المأجورون ،

لا جواب إلا أن الماركسية المقيتة تعادى كل صاحب امتياز دون أن تنظر إلى الرأسمالية فى الحرب والهجوم و إلا لماذا يحارب العقاد - مثلا - أهو رأسمالى ؟

إن العقاد فقير يضفى عليه الله ستره فيحيا أبياً شريفاً ، و لكن الشيوعية تحاربه لا لأنه رأسمالى ، بل لأنه صاحب امتياز عقلى و خلقى ، والدليل على بعض امتيازه أن الشيوعيين أرادوا اجتذابه و إغراءه و لكن العقاد أكبر من أن ينخدع بالشيوعية و أرفع من أن يتنكر لضميره ،

و أنا نفسى تعادينى الشيوعية عداء سافراً ، لماذا ؟ ألأنى اقطاعى ؟ كلا إننى لا أملك إلا بعض حطام لا قيمة له بعد أن بعت ما ورثت ، ألأنى رأسمالى ؟ كلا ، فانا والحمد لله عامل ، لا أملك شيئاً و مدين بأكثر من مأية ألف ريال ، أنفقتها فى البر و أعمال الخير ،

إذن ، لماذا تحاربنى الشيوعية هذه الحرب الضروس ؟ لا جواب إلا أن حرب الشيوعية لى و لأمثالى من أجل الامتياز الخلقى ، فأنا مسلم مؤمن محسن ، والشيوعية تعادى الاسلام

والايمان والاحسان ،

و لقد انطلق عبيد الشيوعية فى بعض بلدان العالم العربى يحاربوننى بكل سلاح حاربونى فى الجرائد الكبيرة اليومية ،و فى الصحف الدائرة و زعموا مزاعم لا يقصدون منها إلا تشوية السمعة حتى يزعزعوا ثقة الشعوب فى قادتهم المفكرين بما ينشرون من الأكاذيب ،

و نحن إذ ندعو إلى الفصحى و نحارب الدعوات الهدامة فانما نريد أن يبقى الانسان حراً كريماً ، لأن فى القضاء على الفصحى قضاءاً على القرآن الذى نزل من السماء لحراسة الانسان والمجتمع و بناء الحضارات والمدنيات على أسس أخلاقية ،

و ما الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدب و علم و كتابة ، إلا فرعاً من الماركسية التى تنكر وجود الله و تجحد الرسالات و تزرى بالقيم والمثل الانسانية جميعها و هى بهذه الدعوة المنكرة يريد أن تهبط بالانسان إلى الحيوانية ،

غير أن الله الذى قطع على نفسه العهد بحفظ كتابه أراد للفصحى الخير فأيدها بالقوة و مكن لها أشد تمكين بأن جعل حفظتها أقوياء لا ينالون قوى الهدم مهما بلغ بها الاستشاد والفتك ،

و يجب أن لا يشغلنا عداؤنا للغرب المستعمر عن الوقوف أمام الشيوعية فاذا كان الاستعمار الغربى شراً ، فان الشيوعية متلقى الشرور جميعها ، و لا شر كالشيوعية فى الأرض بل كل

شر يهون بالنسبة إلى الشيوعية التى لا تريد بالانسان خيراً ، بل تحقد على الانسان و لا ترضى إلا إذا استحال بين يديها حيواناً وديعاً مسخراً لخدمتها ،

و يجب على العالم العربى كله أن يتنبه لخطر الشيوعية على أخلاقنا و ديننا و لغتنا فهو خطر لا يذكر بجانبه خطر الغرب على شناعته و لنحذر الغرب و نحارب الشيوعية ،

إقتراح خطير

لوضع مؤلف فى حاضر العالم الاسلامى

« اقتراح خطير لصديقنا صالح مهدى السامرائى نقدمه إلى كل من يهمه أمر الاسلام ليقوم بواجبه فى هذا الشأن و يؤدى هذه الأمانة التى يتطلب منه الاسلام فى هذا الوقت »

« التحرير »

إنه لا يخفى عليكم أن كل أمة حية تعتنى بكتابة تاريخها و تدوين حاضرها لتعرف المرحلة التى وصلتها من حياتها و لتكون هذه الكتابة عبرة للأجيال القادمة و نحن المسلمين لا نشذ عن ذلك فالضرورة داقعة بوجوب قيام مفكرينا و علمائنا بتدوين واقعنا كل فى بلده من مراكش فى المغرب الأقصى إلى إندونيسيا والفلبين فى الشرق الأقصى ، و من المؤسف أننا نرى تقصيراً منا كبيراً فى هذه الناحية بينما نرى أعدائنا — شرقيين أو غربيين — يتولون هم كتابة و تدوين حاضرنا فهم يتتبعون أمورنا و يكشون السنين الطوال فى بلداننا فيعرفون كل شئ عنا و يكتبونه

لا من وجهة نظرنا بل من وجهة نظرهم و حسب ما تقتضيه مصالحهم ، و لقد ألف هؤلاء الكتب وانشأوا المجلات الدورية التى تبحث عن شؤون العالم الاسلامى ماضيه و حاضره والتنبؤ بمستقبله ، و فى هذه المناسبة علينا أن نذكر باجلال و احترام المرحوم العلامة أمير البيان شكيب أرسلان حينما كتب شروحه و تعليقاته الضافية على كتاب حاضر العالم الاسلامى للمستشرق الأمريكى (لوثروب ستودارد) فكانت هذه الابحاث دائرة معارف إذ أنه أرخ لكل بلد فيه مسلمون و بحث تاريخ دخول الاسلام إلى كل بقعة من بقاع العالم و تسلسل فى الحوادث التاريخية و توقف عند سنة ١٩٣٣ م — ١٩٣٤ م ، و هو تاريخ الطبعة الثانية لكتاب « حاضر العالم الاسلامى » ، وكان رحمه الله يحرص أن يؤرخ للبلدان النائية التى لا يعرف عنها مسلموا الشرق الأوسط إلا النزر اليسير فسد بذلك — رحمه الله — فراغا لم يملأه أحد قبله و قدم لقراء العربية معلومات قيمة عن كل بلد فيه إسلام و مسلمون غير أن الأمور قد تبدلت منذ ذلك التاريخ (تاريخ إصدار الكتاب)

وجدت حوادث لا حصر لها و برزت للوجود دول إسلامية عظيمة كاندونيسيا و باكستان والمغرب و تونس و ليبيا و دول أخرى فى طريقها إلى الاستقلال ، فمن الضرورى جداً ملئ هذا الفراغ و سد هذه الفجوة و كتابة أحوال كل بلد إسلامى منذ ذلك الوقت حتى الآن و عمل ملحق لكتاب العلامة

شكيب أرسلان ، و لقد رأينا نحن بعض الشبان المسلمين أن نقوم بعب° هذا العمل معتمدين على الله أولا و على إخواننا دعاة الفكر الاسلامى فى كل بلد مسلم ثانياً و خصوصاً و فى هذا الوقت الذى عم فيه الوعى لدى كافة البلدان الاسلامية كما أن طرق المواصلات قد سهلت الاتصال بكل بلد إسلامى مهما بعد و بكل مجموعة إسلامية مهما صغرت فرأينا أن نكتب إلى ذوى الفكر والايمان فى كل بلد إسلامى و فى كل قطر فيه مسلمون نكلفهم بكتابة موضوع عن بلدهم كاف شاف موف بالغرض المطلوب و بعد ذلك نجمع هذه المقالات والمواضيع و نرتبها و ننسقها و ننشرها فى كتاب مستقل بالعربية و آخر بالانكليزية و بذا يكون فى متناول يد كل مسلم و فى أى بلد لذا فاننا لنا الشرف أن نتوجه بهذا الطلب إلى حضرتكم راجين أن تكونوا عند حسن ظننا بكم طالبين ما يلى :

أولا ، ١ :- أن تقوموا أنتم بأنفسكم بهذا العمل الجليل على أن يتم فى مدة لا تتجاوز السنة الواحدة و لا تقل عن ستة أشهر اعتباراً من تاريخ بدئكم بالمباشرة بالكتابة ، والغاية من ذلك أن يكون العمل متقناً و شاملا و دقيقاً لأنه سيكون بمثابة وثيقة تاريخية يعتمد عليه إخواننا المسلمون فى كل مكان و كذلك مرجعاً للاجانب من غير المسلمين ،

ثانيا ، ٢ :- أو تعهدون بهذا العمل المبارك إلى من ترونه أهلا للقيام به و يكون عند حسن الظن فكرة و علماً و إسلاماً و

بحسب الشروط أعلاه ،

ثالثاً ٣ :- أن تراعى فى كتابة الموضوع النقاط التالية :

(النقاط التى يرجى ملاحظتها حين كتابة الموضوع)

١ - المساحة والموقع الجغرافى والمدن المهمة مع خريطة البلد

٢ - عدد السكان مع ذكر نسبة المسلمين ونسبة عدد اتباع الأديان الأخرى

٣ - فذلكة تاريخية مختصرة عن تاريخ البلد ،

٤ - الوضع العام للبلد و تطوره فى مجال الاجتماع والاقتصاد والسياسية والتعليم ،

٥ - المشاكل القومية (السياسية والاقتصادية و غيرها) الآنية المهمة التى تشغل البلد فى الوقت الحاضر بكافة طبقات الشعب ،

٦ - الأحزاب والهيئات العاملة فى البلد على اختلاف آرائها و مبادئها باختصار ،

٧ - القوانين والتشريعات التى تسود البلد ،

٨ - اللغات السائدة واللغة الرسمية ،

٩ - الصحافة (أسماء الجرائد والمجلات الصادرة مع بيان اللغة التى تصدر بها والتاكيد على الصحافة الاسلامية)

١٠ - تاريخ و كيفية انتشار الاسلام فى البلد ،

١١ - الأحزاب والجمعيات العاملة فى الميدان الاسلامى ،

(ا) عناوينها و أسماء بعض شخصياتها مع صورهم إن أمكن ،

(ب) أهداف كل هيأة و برنامجها (سياسى ثقافى اجتماعى اقتصادى) مع النقاط الهامة من نظامها الداخلى ،

(ج) الآثار العملية والانجازات التى قامت بها كل هيأة تطبيقاً لمنهجها الذى سلكته ،

(د) علاقة الهيئات الاسلامية العاملة مع بعضها و أثر ذلك فى أوساط الشعب ،

(ه) تاريخ انشاء كل هيأة ،

(و) دور المرأة فى الحركة الاسلامية ،

١٢ المدارس الابتدائية والثانوية والعالية الاسلامية الموجودة إحصاء شامل عنها ،

١٣ — العقبات التى تلاقى المسلمين فى بث الفكرة الاسلامية ،

١٤ — التبشير والمبشرون و أثرهم ،

١٥ — نوع المساعدات التى يحتاجها المسلمون من إخوانهم فى بقية أنحاء العالم الاسلامى ،

١٦ — الحركات الهدامة و مدى استجابة الناس لها كالقاديانية والشيوعية . . .

١٧ — مذاهب المسلمين الفقهية ،

١٨ — مشاكل الحصول على المطبوعات الاسلامية ،

١٩ — دور النشر للكتب الاسلامية ،

٢٠ — أسماء بعض الكتب — باللغتين الانكليزية والعربية — يحسن الاعتماد عليها والرجوع إليها لمعرفة أحوال البلد

و ما يتعلق بشؤون المسلمين فيه ،

رابعاً ٤ :— أن يكون الموضوع دقيقاً فى المعلومات و خصوصاً عن عدد السكان والمساحة والتواريخ ،

خامساً ٥ :— أن يستقصى المعلومات من مصادرها الأصلية و عدم الاعتماد على السماع و لا بأس بالاعتماد على الكتب المعتبرة ،

سادساً ٦ :— أن تكون أسماء الأعلام واضحة و بحروف كبيرة إن كانت الحروف لاتينية ،

كيف نحقق السعادة ؟

محمد الحسنى

صداقة وثيقة بين المادة والروح :

سؤال خطير و سؤال قديم لا يزال يواجه الانسان منذ أقدم الأزمان إلى عصرنا هذا ، هذا السؤال هو « كيف يمكن أن نحقق السعادة لأنفسنا ؟ و ما هى السعادة الحقة ؟ هل هى سعادة الجسم و شقاء الروح أم هى سعادة الروح على حساب شقاء الجسم ؟

إن حضارة من الحضارات و فلسفة من الفلسفات لم تستطع أن تضمن للانسان السعادة فى هذه الحياة فضلا عن الحياة الأخرى التى هى خارجة عن نطاق حدودها و لم تجب على هذا السؤال الخطير جواباً صحيحاً و لم يبق فى الميدان غير الاسلام الذى ضمن السعادة للانسان فى هذه الحياة كما ضمن له السعادة فى الحياة القادمة و لم يفرق بينهما ، إنه لم يهمل الناحية المادية على حساب الروح و لم يهمل الروح فى سبيل المادة بل أنشد سعادتهما معاً لأن الانسان عنده ليس روحاً فحسب أو مادة فحسب بل إنه مزيج من هذه و تلك ، لا يهمل إحداهما على حساب الأخرى .

بل إن الأشياء التى تضمن السعادة للانسان فى الحياة الآخرة — والتى هى أكبر هدف للاسلام و غاية لخلق الانسان — هى نفس الأشياء التى تضمن له السعادة فى هذه الحياة ، إن العمل بقوانين الاسلام والخضوع لتشريعاته لا يجعل المرء ينال رضا الله فحسب بل إنه يسعد حياته كذلك و يكفل له الطمانينة والاستقرار والسعادة الحقة أيضاً ،

إن المسلم — كما قال الأستاذ محمد أسد فى كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » لا ينظر إلى هذه الدنيا باحتقار و إزدراء بل إنه يعتبرها مرحلة محترمة توصله إلى غايته الكبيرة « الآخرة » كما أنه لا يتساقط عليها كالذباب و لا يقدسها و يعبدها كالغربى »

و لا حاجة بنا إلى أن نذهب مذاهب شتى ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « الدنيا مزرعة الآخرة » و هو تعبير دقيق واضح يبين نظرة الاسلام إلى الحياة الآخرة والحياة الدنيا ، و موقف المؤمن منهما ، فالدنيا عنده مزرعة فهل يسمى من يفسد مزرعته أو يهمل شأنه عاقلا ، و هل يسمى من يلهو بمزرعته و ينسى يوم حصاده عاقلا كذلك ، إنه الاسلام إذن الذى أقام هذه الوحدة المتزنة والانسجام البديع بين الدنيا والآخرة و أنشأ هذه الصداقة الوثيقة بين المادة والروح ،

و حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فيه : « ما أنا إلا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح و تركها » و هذا الحديث يحمل نفس المعنى و نفس الروح ، و يعطى الدنيا حقيقة

و قيمة لا يمكن إنكارها و لا يستحسن ، و لكنها على كل حال قيمة نسبية ، و ذلك شئ يجب علينا أن نستحضره فى كل حين ،

إنها فكرة أولية ، و نظرة عامة ، و أصول و مبادئ ، فلنرى ما هذه التشريعات والقوانين التى تضمن السعادة للانسان فى دنياه و آخرته فى وقت واحد و كيف تكيف سلوكه و معاملاته حسب هذه الفكرة الأولية والنظرة العامة ،

نأخذ مثلا الحديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده » إن هذا الحديث وحده يكفى لإلقاء الضوء على تكييف الاسلام لسلوك الفرد بحيث يتمشى مع نظرته العامة إلى الدنيا والدين و يسير بهما جنباً إلى جنب و يضمن سعادتهما معاً ، إن هذا الحديث عبادة و سلوك فى نفس الوقت فكما أن العمل به فى هذه الحياة الدنيا ضمان للسعادة والاستقرار والهدوء النفسى و شيوع المودة والسلام بين الناس كذلك هو وسيلة من وسائل كمال الاسلام و حلاوة الايمان ، و هو الدستور الأول لاقامة مجتمع صالح فى جو من المودة والصلح و صيانة الحرمات والأغراض والأنفس والأموال ، يجد فيه الانسان متعة فى العمل و رغبة فى الكفاح ، و يطمئن للسير فى ركب الحياة بدون التحرش بالآخرين و معاكستهم ، و هو الشرط الأول لكل مجتمع مسلم بل لكل مجتمع سليم يريد لنفسه السعادة والطمانينة والاستقرار ، و ذلك شأن الاسلام فى كل ما يضع من تشريع أو قانون بل فى كل ما يأمر و ينهى ،

و نقف هنا لحظة لنرى ما هو الفرق بين النظرة المادية و نظرة الاسلام إلى تحقيق السعادة ،

إن السعادة فى هذه الحياة لها مفهوم أوسع و أعمق عند الاسلام و نظرته غير نظرة المادى إليها تماماً ، فهو لا يرضى لمعتنقيه أبداً أن يجعلوا هذه الدنيا مرتعاً للشهوات ، و مأخورة واسعة لقضاء الحاجات الجنسية والغرائز الحيوانية ، مأخورة يستوى فيها الخير والشر ، والخبيث والطيب و لا يبقى وجود للكرامة الانسانية و مثلها العليا ، بل إنه يوجه هذ الغرائز برفق حيناً و بشدة حيناً آخر إذا اقتضت الضرورة ، و يهذبها بتشريعاته الحكيمة و يضع لها قواعد و حدوداً ،

و لذلك تراه يحرم الخمر و يحل جميع المشروبات الطيبة و يحرم الربا و يحث على التجارة والصناعة ، و يلغى البغاء و يقر الزواج فهو لا يقضى على الغرائز النفسية فى الانسان بل يهذبها إلى سبيل أفضل و غاية أفضل ،

و جميع تشريعاته المدنية والجنائية تحمل هذا الطابع ، و ترمى إلى نفس الغاية ، إنه يعطينا فكرة جديدة للسعادة ، السعادة الروحية والسعادة النفسية معاً ، السعادة فى هذه الحياة هى بالعمل على تلك التشريعات الحكيمة والسير على ضوئها بأمان ، و سعادة فى الحياة الآخرة جزاءاً على ذلك السلوك ، و تلك الحياة التى يحياها المؤمن ،

إنه يصلح دنياه بآخرته ، و يصلح آخرته بدنياه ،

عبادة و سلوك :

إن هنا — من حياة الفرد إلى علاقات المجتمع — تعليمات صريحة واضحة تكفل السعادة والعدالة الاجتماعية والمساواة ،

جاء فى الحديث الشريف « ما آمن بى من مات شبعان و جاره جائع إلى جنبه و هو يعلم به »

و فى الحديث أن رجلا قال يا رسول الله صلى الله عليه و سلم ما حق الوالدين على ولدهما ؟ قال : هما جنتك و نارك » و هذه الأحاديث هى أسس و مبادئ للمجتمع الاسلامى يبنى عليها صرحه و هى تسكه من الانهيار والانحلال ، و من متاعب عقلية و نفسية شتى ، التى يعانى منها الغرب اليوم لحرمانه من هداية السماء و دستور الاسلام ،

و جاء فى الحديث « الدنيا متاع و خير متاعها المرأة الصالحة ،

و فى حديث آخر « قيل لرسول الله أى نساء خير قال التى تسره إذا نظر و تطيعه إذا أمر و لا تخالفه فى نفسها و لا مالها بما يكره »

حتى إن الاسلام لم يحصر البر بالفقراء والمساكين فحسب بل إن كل حسنة يقوم بها الرجل لأهله صدقة ، و ذلك من أروع ما امتاز به الاسلام عن الفلسفات المادية ، والحق أن الناس لو عملوا بعشير ما أنزل الله لهم تحققت لهم السعادة « فى

هذه الحياة و لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم »

أما فيما يتعلق بالحديث « الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر » فهو يشير إلى هذه الحدود والقيود التى يفرضها الله على عباده من اجتناب المحرمات والمعاصى و عدم التفانى فى المادة فهو يبدو كأنه فى السجن و لكنه فى الحقيقة قد خرج من سجن النفس و سلطان الشهوة ، و عبودية الشيطان و دخل فى ملك الله الأحد الصمد و رحابه الواسع و إلى ذلك أشار القرآن مراراً و تكراراً حيث قال : « إن عبادى لا خوف عليهم يحزنون » و معنى ذلك أنهم لم يربطوا مصيرهم بهذه الحياة الفانية حتى يحزنوا على نهايتها و لم يعشقوها حتى لا يصبروا على فراقها بل ربطوا قلوبهم بالله فاستغنوا به عمن سواه ،

و لذلك منع الاسلام من الاختلاط والفجور و من التبرج و كان الغرض من ذلك صيانة الأسرة و صيانة الأغراض والسمو بالمرأة والرجل فوق الشهوات و منع المنكرات والفواحش من التسلسل إلى المجتمع والفساد فيه ، إنه بذلك يبتغى سعادة الأسرة و سعادة المجتمع فضلا عن ذلك الثواب والأجر الذى يجده العامل على هذه الشريعة فى انتظاره يوم القيامة ،

أما تلك المتعة الرخيصة والملذات التافهة الزائلة التى يجرى ورائها الرجال والنساء بنشوة غريبة ثم تروح السكرة و تجئ الفكرة كما يقول المثل العربى ، فانها ليست السعادة الحقة فى نظر الاسلام و فى نظر أى عاقل ، بل إننى أرى أن شطراً كبيراً من

فساد العالم و اضطرابه اليوم يعود إلى هذا التبرج والسفور والاختلاط المشين و أن كثيراً من الأزمات الخلقية والعقلية التى لا تحل اليوم هى من نتائج ذلك الاختلاط والسفور ور والفسق والفجور ،

إنك لا تجد السعادة مطلقاً فى البيت الاوربى بينما تجد بعض ملامحها فى البيت الشرقى ، والسبب فى ذلك أن الأسرة الشرقية لم تبلغ بعد إلى هذه الذروة من الفحشاء والتدهور الخلقى والميوعة وانقلاب الحقائق التى وصلت إليها أوربا ،

إن النفس الانسانية تواقة طماعة ، و ليس دواؤها فى الخضوع لرغباتها والرضوخ لشهواتها ، فقد أثبتت التجربة والواقع أن تزويدها بما ترغب فيه و تتلذذ به لم يرجع بفائدة مطلقاً ، بل إنها زادت الطين بلة و هيجت من أوارها و نهمتها ، لذلك نرى أن الاسلام يضرب على هذه الداء بيد من حديد و لا يسمح للفجور والسفور فى أى حال من الأحوال أن يتسرب إلى المجتمع ، و يفسد عليه دينه و عفافه ، و مجده و شرفه ، و يذهب بأمن هذه الحياة ذاتها قبل أن يذهب بأمن الحياة الآخرة ،

لقد كثرت حوادث الطلاق ، و أصبحت تتكرر كالأعمال اليومية و تفككت عرى الروابط وانقطعت الأرحام ، وازدادعدد « العذارى الحاملات » وعم الاعتداء على الفتيات ، و أصبحت المرأة رقيقاً تباع و تشترى بعد أن كانت سيدة أمرها وافلتت منها الزمام و أصبحت لقمة سائغة للذئاب الآدمية الجائعة ،

فهل هذه سعادة يا ناس ؟ هل الحقائق تنقلب رأساً على

عقب بمجرد الدعايات الكاذبة والأبواق التافهة ،وهل الشقاء يتحول إلى السعادة ببركة الفن والتقدمية ، لا ! والاسلام إذيضع حداً لهذه المهازل فانه لا يضعه بدافع من التزمت أو بدافع الفضول ، إنه يريد بذلك أنشاء مجتمع أفضل متكامل الشخصية متكامل الرجولة. إنه يريد بذلك تحقيق السعادة للانسان فى هذه الدنيا والنجاة من عقاب الله فى الحياة الآخرة ،

التشريع الجنائى فى الاسلام

التشريع الجنائى للاسلام من أهم العوامل لاقرار الأمن ، و صيانة المجتمع من الفوضى ، و له دور مهم فى سلامة الأموال و الأعراض و مقاومة الأمراض الخلقية و خنقها فى مهدها ،

والذين يقولون إن قطع يد السارق ، ورجم الزانى ، وقذف الشارب ، قوانين همجية لايمكن تطبيقها فى هذا العصر المتنور ، فجوابى إلى هولاء أنها أقل همجية من الحرب الأولى والثانية ، و أنها أقل همجية من تدمير هيروشما ، إنها أقل همجية مما يرتكبه البيض « المتنورون » بالسود « الهمجيين » فى أفريقيا ، و ماتفعله فرنسا الداعرة بالجزائر بمرأى من ضمير العالم ومسمع وما فعله الروس بالمجر و ما فعلته بريطانيا فى بورسعيد ،

إن العاقل من يسمح بعملية جراحية فى جزء صغير من الجسم حتى لايتعرض الجسد كله للخطر ، و لكن « عقلاء » الحضارة الحديثة يسمون هذه العملية الجراحية القصيرة همجية و يرحبون بالخطر الذى يهدد الجسد كله ،

شهوة المال و شهوة الحكم

ومن الأشياء الأخرى المهمة التي لا نستطيع أن نحقق السعادة بدون مقاومتها، شهوة المال و شهوة الحكم، إن الاسلام بدأ من أول يومه يطارد حب المال من قلب الانسان، و يقاوم شهوة الحكم فى نفسه، و أظن أن الشطر الآخر من اضطراب هذا العالم وقلقه يرجع سببه إلى هاتين الشهوتين،

إن هذه الشهوة - شهوة المال و شهوة الحكم - سلبت من الناس نعمة القناعة و الطمأنينة حتى إنك لتبحث فى معاجم اللغات الأوربية فلا تجد لفظاً يوازى هذا المعنى كما يريده المصطلح الاسلامى، إن هذه الشهوة قد أحدثت تنافساً شديداً فى كل المجالات، سواء فى مجال الأفراد أو فى مجال الشعوب، و ما هذه الأسلحة النووية التى تهدد العالم بالدمار و الهلاك إلا نتيجة هذه الشهوة العاتية العارمة،

إن الفرد فى أوربا لا يقتنع بهذا المستوى الذى يعيش فيه مع أن هذا المستوى رفيع جداً إذا قيس بمستوى الدول الشرقية، إنه لا يزال فى حرص شديد مستمر على مزيد من الدولارات والممتلكات و مزيد من الأسهم والشركات،

وما أحسن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصور نفسية الانسان «لو كان لابن آدم واديان من المال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»

فماذا يفعل الاسلام فى هذا المجال، وكيف يعالج هذه الشهوة الأصيلة؟ إن الاسلام يغير اتجاه هذه الشهوة، إنه يشجع التنافس

و يرحب بالمسابقة و لكنها المسابقة فى الخيرات. المسابقة فى فى نشر الحق و العدالة بين الناس و تحرير الشعوب من عبودية النفس، و رقى الشهوة وسلطان المال «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات و الأرض»

إن هذا التنافس الذى نراه اليوم فى مجتمعاتنا، التنافس فى جمع الأموال و دعم السيطرة و توسيع مناطق النفوذ، و إقامة المستعمرات والأسواق لا يقل عن ذلك التنافس الذى كنا نراه فى القرون الأولى فليس الفرق بينهما إلا فى الغاية و الهدف،

الناس فى المجتمع المادى يتنافسون إن يقصوا جيوب الآخرين و يقطعوا أرزاقهم و يملأوا بيوتهم بالقناطير المقنطرة من الذهب و الفضة، إنهم يحاولون أن يبلغوا إلى المجد والجاه ولو على الأشلاء. وتلك هى نتيجة طبيعية للتنافس فى المال و الجاه،

أما فى المجتمع الاسلامى فقد شهد التاريخ أروع الأمثال للتضحية و الايثار الذى قام به الأنصار للمهاجرين، وحدث بعض المرات أن الرجل الذى كانت عنده زوجتان طلق واحدة لأخيه المهاجر واكتفى هو بواحدة، والذى كان عنده بيت واحد أعطى شطره الآخر لأخيه وتلك هى نتيجة طبيعية للتنافس فى البر و المسابقة فى الخيرات،

فالاسلام لا يكبت هذه الغريزة الطبيعية فى الانسان بل يوجهها إلى ما هو خير و أعلى ليحقق له بذلك السعادة الكاملة فى الدنيا والآخرة. والذين يحاولون أن يعالجوا هذا التنافس بتنافس أكثر، ويعالجوا هذه المسابقة بمسابقة أشد، فمثلهم كمثل رجل يحاول

إطفاء الحريق بالبترول بدلا من الماء، و يريد أن يخمد النار بالنار،

إن السعادة لا تأتى بالحرية المطلقة التى لا تعرف قيداً ولا تعرف قانوناً، و لا بالتزمت المطلق الذى يعارض الطبيعة البشرية والفطرة الانسانية بل إنها تتطلب معالجة حكيمة فى ضوء الاسلام وهداية السماء،

إلى القارئ الكريم

كان من الواجب أن يصدر هذا العدد على ١٠٤ صفحات لأنه ليس عدداً واحداً فقط وإنما هو عددان الثانى و الثالث، ولكن صدر هذا العدد على ٨٤ صفحة، وسوف لنسدد هذا النقصان فى القادم إن شاء الله،

إستدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	١١	المتينة	المبتة
٣٩	١٦	المنية	الميتة
٣٩	٣٠	فاتها	ذاتها

٣١٣
٢٤٣٩